العدد السابع
محرم 1448 - حزيران 2026

مدارك

ملف العدد | الغرب وتوظيف التصوف

- مقامات السالكين عند الصوفية
- شيخ التصوف المثير للجدل
- التصوف السوداني
- صوفيون في ضيافة الكيان الصهيوني

www.Mdarek.net

مدارك

الآن مجلة مدارك على هاتفك

GET IT ON Google Play

Download on the App Store

الفهـرس

افتتـاحيـة الـعـدد

الإحسان بين الأولياء والأشقياء - أسامة شحادة 3

تزكية القلوب و النفوس

مكانة التزكية و وسائلها - د. عماد يونس 4

قـاموس المصطلحات

سُلّـم السلـوك: نقد المقامات الصوفية (١) - د. محمد أبو عمر 6

شبهـات تحت المجهر

مقامات السالكين عند الصوفية: قراءة عقدية نقدية (١) - د. محمد البشري 10

شخصيـات صوفية

شيـخ التصـوف المثير للجـدل ! نهـرو الكسنزان - أسامة الهتيمي 13

مقالات و آراء

قول ابن تيمية في الصوفية والتصوف - د. لطف الله خوجة 17

ملف العدد

الإمبريـالية و التصـوف - يوسف سمرين 20

مقاصد الدراسات الاستشراقية لوحدة الوجود - د. طارق الحمّودي 24

التصوف والتوظيف في مراكز الأبحاث الغربية - د. محمد أبو سلمان الشامي 27

خزانة الوثائق

«لبـاس الفتـوة»: بين نصرة المظلوم وتوظيف السلطـة - د. دعاء أحمد 30

عصـارة الكتب

هل راهن الغرب على التصوف؟ - فاطمة عبد الرؤوف 34

احصائيات وتحليلات

التصوف السوداني: التاريخ والواقع والموقف من الحرب - محمد خليفة صديق 36

الصوفية حول العالم - اعداد إدارة التحرير 40

محطات تاريخية

صوفيون في ضيافة الكيان الصهيوني - هيثم الكسواني 45

عَلَّامة الدِّين الإخْلاص للّٰه ،
وَعَلامَة العلْم خَشيَة اَللّٰه .

اَلربِيع بْن أنس

الإحسان بين الأولياء والأشقياء

أسامة شحادة - الأردن

مما هو متفق عليه بين أمة الإسلام علو مرتبة الإحسان، وذلك بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام، في حديث الإسلام الطويل المتفق عليه والذي بيّن فيه النبي صلى الله عليه وسلم أن الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» ثم صدّقه جبريل عليه السلام.

ومن هنا فإن العلماء أولوا موضوع الإحسان عناية كبيرة بتوضيح حقيقته وأنواعه والوسائل المعينة عليه، وبينوا أنه يشمل مجالات الحياة كلها، فهو يتناول علاقة المسلم بربه فيخلص له العبادة والطاعة والحب والولاء، ويشمل علاقة المسلم بنفسه فيحثها على عبادة الله وطاعته وينهاها عن معصيته، ويتقيه بتزكية نفسه حتى يفلح، ويتناول الإحسان علاقة المسلم بغيره من الناس فيحسن إليهم ويحافظ على حقوقهم ويخالقهم بخلق حسن ويوصل الخير المادي والمعنوي لهم، ويمتد هذا الإحسان ليشمل الحيوان والجماد، فيحسن الذبحة ويرفق بالحيوانات، ويحافظ على الممتلكات العامة من طريق أو بناء.

ولذلك فالمسلم الحقيقي هو من يحقق الإحسان في حياته حقًا بحسن الطاعة والعبادة لله عز وجل، وتقوم أفعاله وأخلاقه مع الناس على أداء الحقوق وتجنب الظلم والتقصير وهذا طريق الولاية الحقيقي، ولكن إذا تأملنا في كثير مما يجري من حولنا نرى بونًا شاسعًا بين رفع شعارات الإحسان وبين الأفعال والأقوال مع الأسف الشديد.

فالله عز وجل يأمر الناس «ادعوني أستجب لكم» (غافر: ٦٠)، ثم نجد ربما ملايين الناس تدعو غير الله عز وجل في الموالد والأضرحة!

والنبي صلى الله عليه وسلم علّمنا كيف نأتي للصلاة لذكر الله عز وجل، فعن أبي قتادة الحارث بن ربعي قال: «بينَما نَحنُ نُصَلِّي مع النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إذ سَمِعَ جَلَبةَ رِجالٍ، فلَمَّا صَلَّى قال: ما شَأنُكُم؟ قالوا: استَعجَلنا إلى الصَّلاةِ؟ قال: فلا تَفعَلوا، إذا أتَيتُمُ الصَّلاةَ فعلَيكُم بالسَّكينةِ، فما أدرَكتُم فصَلُّوا وما فاتَكُم فأتِمُّوا»، رواه البخاري. فقارن هذا الأمر من النبي صلى الله عليه وسلم بالسكينة والهدوء في المشي للصلاة في المسجد، وبين ما يفعله كثير من الناس في المساجد من الجلبة والصراخ والحركة الدائبة بل والقفز واللف والدوران والرقص بدعوى ذكر الله عز وجل!

أما بخصوص الإحسان للنفس فالله عز وجل يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «وثيابك فطهر» (المدثر: ٤) ليكون قدوة للمؤمنين، ثم نجد من يدّعي أن طريق التزكية يكون بالعيش في المزابل وأن يبول الناس عليه!

والله عز وجل يدلنا على الطريق الواجب اتباعه فقال مخاطبًا نبيه عليه الصلاة والسلام: «فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات» (محمد: ١٩)، وكان بداية الوحي الرباني «اقرأ» (العلق: ١)، ولكن المنحرفين عن أمر الله ورسوله جعلوا العلم والكتب والقراءة عورة يجب سترها! ومجّدوا الجهل وجعلوه كرامة للأولياء! وزعموا أنهم يتلقون العلم بالإلهام بدلاً من أنوار الوحي الرباني الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وعلّمه لأصحابه الذين علّموه للتابعين ومن بعدهم للأئمة والعلماء، لكنهم فضلوا على القرآن والسنة المنامات والإلهامات الشيطانية!

وأخيرا؛ على صعيد الإحسان للناس والمؤمنين، فللأسف نجد هؤلاء الأشقياء يقفون في صف الظالمين عبر الزمان، فقد كانوا مع التتار والمغول ضد المسلمين وهم يذبحون، وكانوا عونًا للمحتل والمستعمر، وتاريخ الجزائر شاهد على ذلك، واليوم نجد من هؤلاء الدجالين من يزورون ويمدحون قادة الصهاينة وهم يذبحون أهلنا في غزة.

إن الإحسان لا يكون إلا بإخلاص العبادة لله عز وجل، وبعلم صحيح مستقى من الكتاب والسنة على يد العلماء الربانيين، وبنصرة للحق وحسن تعامل مع الخلق وولاء للمؤمنين وبراءة من الكفار والمعتدين، جعلنا الله الكريم من أوليائه المحسنين.

مكانة التزكية و وسائلها

د. عماد يونس - الأردن

مقدمة:

خَلق الله سبحانه وتعالى الخَلقَ واصطفى منهُم واختارَ أنبياءَه ورُسُلَه لحمْلِ رسالاتِه؛ وتبليغِها للبَشَر عبر الأجيال ليُخرِجُوا البشريةَ من الظُّلمات إلى النُّور، بتحقيق التَّوحيد وإفرادِ الله سبحانه وتعالى بالعبادَة والطَّاعة والانقياد(وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ) [القصص: ٦٨].

ومَن يتأمَّلُ حالَ البشرِ اليوم، سيقفُ على حقيقةٍ مؤلمةٍ، وهي أنَّ أكثرَ النَّاس في غفلةٍ شديدةٍ وإعراضٍ عن الله تعالى، وللأسف أيضًا أن الغفلة عن مُراد الله عزَّ وجلَّ منهم هي حال كثير من المسلمين ذكورًا وإناثًا، ففي هذا الزَّمان الذي تحارب فيه عقيدة الأمة وأخلاقُها، تجد كثيرًا من أبناء الأمة المسلمة في غفلةٍ عمَّا يُراد بهم من أعداءِ الله سبحانه وتعالى، وأعداءِ أنبيائِه ورُسُله؛ ممَّن يحيكون لهذه الأمَّة المؤامرات، ويعملون ليلَ نهار من أجل إفسادها، فيجدُ الملايينَ منقادين خلفَ شياطينِ الإنس والجنِّ.

إنَّ للأمَّة المسلمةِ منظومات دفاعٍ عقَدية وأخلاقية، فإن حافظت على سلامةِ هاتين المنظُومتين ستظلُّ رائدةً قويةً. أمَّا إذا ما خُطِّمَت عقائدُها، وهُزِمَت في ساحاتِ أخلاقِها فستظلُّ ضعيفةً يجثُم على صدرها أعداؤها كاليهودُ وغيرهم؛ لذلك الأمَّة اليوم في أمسِّ الحاجةِ إلى من يحمي هاتَين المنظُومَتين.

ولو أنَّ كلَّ مُرَبٍّ ومربِّيَةٍ استشعروا بقلوبهم عِظَم قَدر هذه المنظُومة، فإنَّهم سيعملون جاهدين لحمايتها، ومن وفَّقهم الله تعالى وأقبَلوا على هذا الثَّغر، وأدركَوا حَجم المسؤولية وعِظَم المخاطر التي تحيطُ بالأمَّة المُحمَّدية، فباؤوا بهذا الحمْل وقاموا على هذا الثَّغر، مُستَشعِرين قولَ الله سبحانه وتعالى: (وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ) [محمد: ٣٨]، فهم يأبون أن يُستبدَلوا، ويحرصُون أشدَّ الحرص أن يستعملَهم الله عزَّ وجلَّ في الحفاظ على دينِه، وفي غرسِ العقيدة الصَّحيحة في قلوب أبناء الجيل. ويأبون إلَّا أن يقوموا على ثغر الأخلاقِ، فأفنَوا أعمارهم في الذود عنه وفي سبيل قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [سورة الذاريات: ٥٦].

والسَّائر إلى الله إنَّما يسيرُ متَّكئًا على دِعَامتَين، ولن يصلَ أحدٌ إلى الله تعالى وصولًا سليمًا يُرضيه سبحانه ويسرُّ العبدَ يوم القيامة إلَّا بهما؛ وهما:

١. التَّأصيل العلمي: فلا يمكنُ الوصول إلى الله تعالى دون علمٍ، فبه يتعلَّم المسلمُ العقيدةَ، ويطهِّرُ قلبَه وجوارحَه من كلِّ ما يكدِّرُ صَفوَ العقيدة وسلامةَ التَّوحيد، وبه يُعبد الله عزَّ وجلَّ على الوجه الذي أمرَ به، وبه يحقِّقُ اتِّباعَه لرسوله ﷺ.

٢. التَّزكية: وهي الرَّكيزة الثانية التي لا غنى للسَّائر إلى الله عنها، وبها دعا إبراهيم عليه السلام لنا حينما قال: (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ) [البقرة: ١٢٩]، وقد استجاب الله دعاءه ولكنه سبحانه قدَّم التَّزكيةَ على التَّعليم فقال جلَّ وعلا: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) [آل عمران: ١٦٤]، رغمَ أنَّ إبراهيم عليه السَّلام كان قد قدَّمَ التَّعليم على التزكية في دعائه، فالتزكية هي اختيارُ الله تعالى للمسلم، وبه يصحُّ وصولُه إليه جل جلاله، وإن لم يعتنِ المسلمُ بالتَّزكية فسيكون حالُ الأمَّة مشابهًا لحال اليهود -عياذًا بالله-، وإن لم يعتنِ بالعلم فإنَّها ستكون مشابهةً للنَّصارى؛ فقد قال الله تعالى مخبرًا عبادَه عن طريق النَّجاة: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) [الفاتحة: ٦-٧]، وقد أجمع المفسِّرون على أنَّ المغضوب عليهم هم اليهود، وأنَّ الضَّالين هم النَّصارى.

وفي زمنٍ طغت فيه الماديات، وانشغل الناس بعمارة ظواهرهم حتى كادوا يُغفلون بواطنهم، تبرز الحاجة إلى العودة إلى ما كان عليه السلف من العناية بتزكية النفوس وتطهير القلوب. فالتزكية ليست ترفًا روحيًا يُقبل عليه المتفرغون، بل هي أصل الدين، ومقصد

الرسالة وغاية الخلق. لذا يأتي هذا المقال في طليعة مقالات قادمة بإذن الله نتحدث فيها عن التزكية.

أولًا: معنى التزكية وحقيقتها

التزكية في اللغة تعني: النماء والطهارة. وفي الاصطلاح الشرعي: تطهير النفس من الأخلاق الذميمة، وتحليتها بالأخلاق الحميدة، وتنقية القلب من الأمراض، كالرياء والحسد والكبر والغفلة، وملؤه بمحبة الله والإنابة إليه والتوكل عليه؛ فالتزكية تتضمن أمرين: تخليةً وتحليةً؛ فالتخلية تطهير النفس مما يشينها، والتحلية تزيينها بما يُجمِّلها.

ثانيًا: مكانة التزكية في الإسلام:

للتزكية في شرعنا الحنيف مكانة عظيمة؛ تتجلى في عدة مظاهر، منها:

١. التزكية مقصد الرسالة النبوية:

جعل الله تعالى من مهام النبي ﷺ تزكية الناس، فقال سبحانه: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) [الجمعة: ٢].

٢. التزكية شرط للفلاح:

صرَّح القرآن الكريم بأنَّ الفلاح مشروط بالتزكية؛ بل أقسم الله جل وعلا على ذلك، فقد قال تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا) [الشمس: ٩]. وقد جاء هذا جوابًا لأحد عشر قسمًا تضمنتها سورة الشمس.

٣. ترك التزكية خيبة وخسارة:

فكما أنَّ التزكية فلاح فإنَّ تركها خيبة وخسارة؛ كما قال تعالى: (وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) [الشمس: ١٠]. وإذا أُهملت التزكية وضعف الاشتغال بأمراض القلوب وإصلاحها، نشأت أجيالٌ قد تحفظ المتون وتُحسن الكلام في الفقه والعقيدة، لكنها تفتقر إلى الورع الحقيقي والإخلاص الصادق والرحمة بالخلق، فتحول العبادة إلى صورة بلا روح، والعلم حجة بلا عمل.

ثالثًا: وسائل تزكية النفس:

١- التوحيد ومجانبة الشرك:

لن تزكو النفس ولن يستقيم حالها بلا توحيد، ومن ظنَّ أنَّه يزكي نفسه حينما يقصد الأحجار والأشجار والأوثان والقبور من دونه الله، في دعائه وإقباله وخوفه ورجائه فقد أخطأ؛ فكيف تزكو نفس تعلقت بغير الله، وتلبست بالشرك؟!.

٢- لزوم السُّنَّة:

إنَّ الطريق الوحيد السديد لتزكية النفس هو طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فليست التزكية رياضات ومجاهدات، بل لزوم للسنة التي ما جاء صاحبها إلاّ من أجل تحقيقها (وَيُزَكِّيهِمْ).

٣- العلم:

لا تزكية بلا علم؛ إذ كيف يُزكّي المرء نفسه من الكبر وهو لا يعرف حقيقته؟ وكيف يتخلص من الرياء وهو لا يعرف أسبابه ودرجاته؟ وقل مثل ذلك في سائر أمراض القلوب وآفات الجوارح التي تقطع سير القلب إلى الله. وكم من جاهل دسَّى نفسه بسلوك طريق حمله عليها جهله. وما ضل من ضل إلا بترك العلم.

٤- الإقبال على القرآن:

القرآن الكريم منبع التزكية ومصدرها، ولن تزكو نفس أعرضت عن القرآن قراءةً وتدبرًا وعملًا؛ فالقرآن يربي القلب على الصدق والإخلاص، والمحبة والخوف والرجاء، وغير ذلك من أعمال القلوب التي تزكو بها النفوس.

٥- قطع تعلق القلب بالدنيا:

إنَّ القلب المتعلق بالدنيا المقبل عليها بكليته قلب أضاع بوصلته، وشتت شمله، وتفرق على صاحبه؛ لذلك مَن أراد زكاة نفسه فليقطع تعلق قلبه بالدنيا، وإن عاش فيها ببدنه وسعى لإصلاحها.

٦- مجالسة أهل التزكية:

إنَّ العبد الذي يبحث عن زكاة نفسه وقلبه فسيجدها في مجالس أهل التزكية من الصالحين بحق والمصلحين بصدق. وأمَّا مجالس العطالين البطالين فلا تورث النفس إلاّ شرًا، ولا تملأ القلب إلاّ قسوة. فطوبى لعبد تطلَّب سلامة قلبه وزكاة نفسه فَجَدَّ في البحث عنها، فلما وجدها أناخ رحل قلبه فيها، ولم يغادرها حتى يَقْدُمَ على ربّه. ولسان حاله قول النبي ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يُخالل». رواه الترمذي وأبو داود بسند حسن.

٧- الدعاء:

التزكية توفيقٌ من الله، لا تُنال إلا بصدق الطلب وحسن التوجه. والموفق من سألها مالكها، بلسان قلبه، فلهج بقوله: «اللهم آتِ نفسي تقواها وزكّها، أنت خير من زكّاها، أنت وليّها ومولاها».

سُلّـم السلـوك:
(١) نقد المقامات الصوفية

د. محمد أبو عمر - مصر

جعل الإسلام العبادةَ تكليفًا مباشرًا بين العبد وربه، لا وسيط فيه ولا طبقات، قال تعالى «وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» [النساء: ٣٦]، طريقها الإخلاص والمتابعة، ينالها كل عبد دون حاجة إلى إذن شيخ أو اجتياز مراحل. غير أن الصوفية طوّروا نظامًا سلوكيًا أطلقوا عليه «المقامات والأحوال»، جعلوا فيه السير إلى الله سُلّمًا صعوديًا، يرتقي فيه المريد درجة درجة. وهذا النظام المبتدع يدرس لليوم وينشر للعالم عبر اليوتيوب[١]، وتفرد له الموسوعات المعاصرة مجلدات[٢]، وتبني عليه الطرق الصوفية برامجها السلوكية كاملة[٣]، وفي هذا المقال نركز الحديث على «المقامات»، وأرجئ الكلام على «الأحوال» إلى مقال تالٍ.

ولكي ندرك عمق الإشكال، نتتبع مصطلح «المقام» من جذوره. «المقام» في القرآن معناه: موضع كرامة وتشريف، كقوله تعالى: «عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا» [الإسراء: ٧٩]، وقد فسره ابن عباس، رضي الله عنهما، بأنه «مقام الشفاعة»[٤]، فهو منحة إلهية لا درجة تُكتسب. وقد كان هذا المعنى هو السائد حتى القرن الثالث الهجري حيث عرّف السراج الطوسي (ت ٣٧٨هـ) المقام بأنه «مقام العبد بين يدي الله عز وجل، فيما يقام فيه من العبادات»[٥]، وهو تعريف منضبط، يمثل فكر أوائل الصوفية الذين دار حديثهم حول العبادات المشروعة قبل أن يظهر خط الانحراف المتأخر.

حين أعاد الصوفية تعريفه، جعله الجرجاني (ت ٨١٦هـ) «عبارة عما يتوصل إليه بنوع تصرف، ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة وتكلف»[٦]، محولين إياه من منحة ربانية إلى مكسب بشري دائم ومستقر. أما «الحال» فهو عندهم موهبة ترد على القلب وتزول[٧]، مع اعتراف القشيري باضطراب العلاقة بينهما وتداخلهما، فقد يتحول الحال عنده إلى مقام[٨]، مما يهزّ مصداقية النظام كله.

ولم يقتصر تطور هذا التصور على تبديل التعريف، بل امتد إلى أقسامه، فبعد أن قسّمه الطوسي إلى سبعة أقسام: «التوبة، والورع، والزهد، والفقر، والصبر، والتوكل، والرضا»[٩]، جاء السهروردي (ت ٦٣٢هـ) وزادها إلى عشرة[١٠]. وشرط القشيري (ت ٤٦٥هـ) للترقي «استيفاء أحكام المقام السابق»[١١]، وهنا زرعت بذرة «السلم الصعودي» التي أثمرت أخطر مرحلة: تحويل المقامات إلى نظام طبقي يصنف الناس في العبادة إلى «عابد» و«مريد» و«عارف».

فـ «العابد» عندهم هو المبتدئ الملتزم بظاهر الشرع، الخائف من النار، الطامع في الجنة[١٢]، وهذا الذي يُعتبر عندهم في أدنى الدرجات! مع أن الله مدح أنبياءه به: «إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا» [الأنبياء: ٩٠]. ثم «المريد» الذي يتجاوز الخوف والرجاء إلى «المحبة المجردة»، وقد بلغ الغلو بأبي بكر الشبلي (ت ٣٣٤هـ) أن جعل الخوف من النار شركًا، فقال: «لو خطر ببالي أن الجحيم بنيرانها وسعيرها تحرق مني شعرة لكنت مشركاً»[١٣]. وفي قمة الهرم الاصطلاحي: «العارف»

---

١ - محاضرة أ. د. علي جمعة : https://www.youtube.com/watch?v=J4_2c5E5L8A

٢ - الموسوعة الميسرة : https://shamela.ws/book/٣٧١٠٢/٩٦٣

٣ - موقع الطريقة الشاذلية : https://chadhliya.hautetfort.com/les-stations/

٤ - تفسير الطبري، ١٥/ ١٤٤.

٥ - اللمع، ص ٦٥.

٦ - الجرجاني، التعريفات، ص ٢٨٢.

٧ - المرجع السابق، ص ١١٤.

٨ - الرسالة القشيرية، ص ٥٧.

٩ - اللمع، ص ٦٥.

١٠ - عوارف المعارف، ص ٢٣٨.

١١ - الرسالة القشيرية، ص ٥٦-٥٧.

١٢ - اللمع، ص ٦٥.

١٣ - اللمع، ص ٤٧٩.

الذي تجاوز العبادة ووصل «المعرفة»، وقد عبّر عن نخبويته رُويم بن أحمد البغدادي بقوله: «رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين»[١٤]، فتقديم «الرياء» (وهو شرك أصغر) على «الإخلاص» (وهو أصل الدين) يمثل قمة الانحراف المفهومي.

والأخطر أن هذا التقسيم أُسقط على مفاهيم الدين نفسها، فلم تعد التوبة واحدة، بل صارت ثلاثًا: «توبة العوام من الذنوب، وتوبة الخواص من الغفلة، وتوبة خواص الخواص مما سوى الله»[١٥]. وهكذا تحول الدين الواحد إلى ثلاث طبقات، لكل طبقة أحكامها، مما يفتح باب التحلل من التكاليف عن «الخواص». هذا هو منتهى الانحراف في باب المقامات، وبقي الركن الثاني: الأحوال، وسنقف عنده في حديث قادم إن شاء الله.

أمام هذا الانحراف، تصدى أئمة الإسلام لهذا النظام المبتدع. فكان ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) من أشدّ الناقدين لهذا الانحراف فأفرد في كتابه «تلبيس إبليس» فصولاً كاملة لنقد ما استحدثه الصوفية من مقامات وأحوال، معتبرًا أن هذه التقسيمات من جملة ما لبّس به الشيطان على الناس. ويقول في كتابه «صيد الخاطر»: «وجدتُ أكثر الصوفية والزهاد منحرفًا عن الشريعة بين جهلٍ بالشرع وابتداءٍ بالرأي، يستدلون بآيات لا يفهمون معناها»[١٦]. ويرى أن تسمية هذه المقامات بهذه الأسماء الخاصة، وتقسيمها إلى هذه الدرجات، هو من البدع التي لم يأتِ بها شرع، وأنها ذريعة إلى تعطيل الأحكام الشرعية والانغماس في البطالة تحت مسمى «المجاهدة» و«الرياضة».

وجاء ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) فأعاد هذه المصطلحات إلى أصلها، فميّز بين «أعمال القلوب» المشروعة كالتوكل والصبر، وبين جعلها «مقامات» اصطلاحية، محذرًا من أن هذا النظام يفضي إلى القول بإسقاط التكاليف عن «الخواص»، ومؤكدًا أن «الأمر والنهي لازمان لكل عبد ما دام عقله حاضرًا»[١٧]. وسار ابن القيم (ت ٧٥١هـ) على نهجه بمنهج «تقويمي» في «مدارج السالكين»، يقبل من مصطلحات القوم ما وافق الكتاب والسنة، ويردّ ما خالفهما، محذرًا من «شطحاتهم» التي قد تخدع الناس بظاهرها[١٨].

وفي الأندلس، وجّه الإمام الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) في كتابه «الاعتصام» نقدًا مقاصديًا صارمًا لمنظومة المقامات والأحوال عند المتأخرين؛ حيث انتقد بشدة تحويل هذه الأحوال إلى غايات مستقلة تُقصد لذاتها بمعزل عن الشريعة الظاهرة، أو جعلها معيارًا للتفاضل بين العباد على حساب الامتثال للتكاليف الشرعية. ونبّه الشاطبي إلى الخلل الأصولي الذي يقع فيه هؤلاء حين يظنون أن صاحب «المقام» قد يرتفع عن عموم المكلفين، أو يُعفى من انضباط الظاهر، مؤكدًا أن جعل المقامات بديلًا عن التكاليف، أو ادعاء أحوالٍ تخرج بالسالك عن جادة الفقه والاتباع، هو عين الابتداع والضلال الذي يدخل الخلل على الواضع للمذهب والمتبع له على حد سواء[١٩].

وامتد النقد إلى العصر الحديث، فمن داخل التصوف نفسه، نقد أبو الوفا التفتازاني (١٩٣٠-١٩٩٤م) الطرق المعاصرة لمبالغتها في المظاهر والشكليات على حساب الجوهر الأخلاقي[٢٠]. كما حذر الشيخ محمد الغزالي (١٩١٧-١٩٩٦م) من الانشغال المفرط بهذه المصطلحات الذي يصرف المسلم عن العمل الصالح والعبودية الخالصة لله. وكتب د. محمد عمارة (١٩٣١-٢٠٢٠م) كتابه «مقام العقل عند الصوفية» محذرًا من تغليب الذوق والكشف على النص والعقل في تحديد المقامات والأحوال، ومبينًا أن التصوف الأصيل كان سلوكًا منضبطًا على الكتاب والسنة، بينما انحرف المتأخرون

١٤ - الرسالة القشيرية، باب المعرفة بالله.

١٥ - موسوعة الكسنزان الصوفية، مصطلح «التوبة».

١٦ - صيد الخاطر، ص ٢٤٥.

١٧ - مجموع الفتاوى، ١٠/ ٤٣٨.

١٨ - ابن القيم، مدارج السالكين، ١/ ٧.

١٩ - الشاطبي، الاعتصام، تحقيق: مشهور بن حسن، دار ابن الجوزي، ط٢، ٤١٥/١.

٢٠ - د. عبد الحافظ أحمد طه، «النقد الذاتي للتصوف»، جامعة الأزهر، ٢٠١٠، ص ٣٢٤.

حين غرقوا في «التحلل من الشريعة والأحكام والتكاليف»[٢١].

وقد أنتجت الجامعات العربية دراسات متخصصة في الموضوع، منها رسالة «المقامات والأحوال عند الصوفية وموقف السلف منها» للباحث مؤمن جمال عبد العزيز مرعي (٢٠٢١م) [٢٢].

ولِفهم كيف تشكل هذا البناء الغريب، لا بد من الإشارة إلى الأطر الفلسفية الدخيلة التي أثرت فيه. فقد نشأ التصوف في بيئة منفتحة على ترجمات الأمم الأخرى[٢٣]، فقد وفرت الأفلاطونية المحدثة فكرة «السلم الصعودي» للروح[٢٤]، وتشابهت غاية «المقامات» الصوفية مع «النيرفانا» البوذية، كما أثبتت ذلك دراسة أكاديمية[٢٥]، حيث يظهر الشبه جليًا في فكرة الترقي بالترتيب والتدريج وصولاً إلى مقام الفناء، وتلاقي وجهة الفناء الأخلاقية الصوفية القائمة على إخماد الميول والصفات، مع مفهوم النيرفانا البوذي الداعي لكبح جماح الطبيعة الحيوانية المثيرة للمعاصي لتعطيل إرادة الحياة، في حين تعود جذور فكرة «المعرفة الخاصة» للخواص إلى الغنوصية[٢٦].

وهذه المؤثرات تكشف كيف انحرفت المصطلحات بفعل الثقافة الوافدة.

أما البديل لهذا الانحراف، فليس نظريات تُبْنى ولا مصطلحات تُصاغ، بل هو العودة إلى نقاء العبودية كما عاشها الجيل الأول. لقد بلغ الصحابة ذروة المقامات دون أن يعرفوا هذه التقسيمات، وأدركوا لبّ المعرفة دون أن يدوروا في أفلاك هذه المصطلحات. كان توكلهم عبادة، وصبرهم قربة، وخوفهم ورجاؤهم جناحين يطيرون بهما إلى الله، كل ذلك بإخلاص ومتابعة، بلا سلم طبقي أو شيخ يحتكر الطريق. وما أحوج المخدوعين بحسن نية اليوم أن يكتشفوا أن الطريق إلى الله أقصر مما يتصورون، وأن باب العبودية ما زال مفتوحًا لكل من أخلص لله واتبع رسوله، دون حاجة إلى جواز مرور من أحد."

٢١- مقام العقل عند الصوفية، مكتبة وهبة، ٢٠١١.

٢٢- رسالة «المقامات والأحوال عند الصوفية وموقف السلف منها»، جامعة القدس، ٢٠٢١.

٢٣- إبراهيم هلال، الفلسفة والدين في التصوف الإسلامي، ٢٠٠٩، ص ٤٥.

٢٤- شبكة صيد الفوائد، «أثر الفلسفة اليونانية على الفرق الإسلامية".

٢٥ - دورية التجديد، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

٢٦- "المعرفة اللاهوتية (العقدية) في التصوف الإسلامي والغنوصية»، شبكة فيل بيبرز (وثائق الفلسفة)، ٢٠٢٠م.

(26) PhilPapers, "Theological Knowledge in Islamic Mysticism and Gnosticism", 2020.

مَنْظُومَــةُ فِي السَّيْرِ إِلَى اللهِ وَالدَّارِ الآخِرَةِ

للشَّيْخُ العَلَّامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ نَاصِرٍ السَّعْدِيُّ

١. سَــعِدَ الَّذِينَ تَجَنَّبُوا سُبُلَ الرَّدَى ... وَتَيَمَّمُــوا لِمَنَــازِلِ الرِّضْــوَانِ

٢. فَهُمُ الَّذِينَ قَدْ أَخْلَصُوا فِي مَشْيِهِمْ ... مُتَشَــرِّعِينَ بِشِــرْعَةِ الإِيمَــانِ

٣. وَهُمُ الَّذِينَ بَنَوْا مَنَازِلَ سَــيْرِهِمْ ... بَيْــنَ الرَّجَــا وَالخَــوْفِ لِلدَّيَّــانِ

٤. وَهُــمُ الَّذِيــنَ مَلَا الإِلَــهُ قُلُوبَهُمْ ... بِــوِدَادِهِ، وَمَحَــبَّــةِ الرَّحْــمَــنِ

٥. وَهُمُ الَّذِينَ قَــدْ أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِهِ ... فِــي السِّــرِّ وَالإِعْــلَانِ وَالأَحْيَانِ

٦. يَتَقَرَّبُــونَ إِلَى المَلِيــكِ بِفِعْلِهِمْ ... طَاعَاتِــهِ، وَالتَّــرْكِ لِلْعِصْيَــانِ

٧. فِعْلَ الفَرَائِــضِ وَالنَّوَافِلِ دَأْبُهُمْ ... مَــعَ رُؤْيَــةِ التَّقْصِيــرِ وَالنُّقْصَــانِ

٨. صَبَرُوا النُّفُوسَ عَلَى المَكَارِهِ كُلِّهَا ... شَــوْقاً إِلَــى مَــا فِيــهِ مِنْ إِحْسَــانِ

٩. نَزَلُــوا بِمَنْزِلَــةِ الرِّضَــى فَهُمُ بِهَا ... قَــدْ أَصْبَحُــوا فِــي جَنَّــةٍ وَأَمَــانِ

١٠. شَكَرُوا الَّذِي أَوْلَى الخَلَائِقَ فَضْلَهُ ... بِالقَلْــبِ وَالأَقْــوَالِ وَالأَرْكَــانِ

١١. صَحِبُوا التَّوَكُّلَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ ... مَــعَ بَذْلِ جُهْــدٍ فِي رِضَــى الرَّحْمَنِ

١٢. عَبَــدُوا الإِلَهَ عَلَى اعْتِقَادِ حُضُورِهِ ... فَتَبَــوَّءُوا فِــي مَنْــزِلِ الإِحْسَــانِ

١٣. نَصَحُوا الخَلِيقَةَ فِي رِضَى مَحْبُوبِهِمْ ... بِالعِلْــمِ وَالإِرْشَــادِ وَالإِحْسَــانِ

١٤. صَحِبُوا الخَلَائِقَ بِالجُسُــومِ وَإِنَّمَا ... أَرْوَاحُهُــمْ فِــي مَنْــزِلٍ فَوْقَانِــي

مقامات السالكين عند الصوفية: قراءة عقدية نقدية (١)

د. محمد البشري - السعودية

تعتبر مقامات السالكين عند الفكر الصوفي- بحسب تصورهم- مراحل متدرجة يمر بها السالك عبر المجاهدة، والرياضة، والذكر، والعزلة، حتى يبلغ الغاية التي يسمونها: الإنسان الكامل أو الولاية الخاصة، ويربطون هذه المرتبة بحصول الفناء والبقاء، والجمع بين الحقيقة والشريعة، والجذب والسلوك، ويرون أن السالك إذا لم يصل إلى هذه المرحلة فلا تتحقق الثمرة المقصودة من مجاهداته السابقة.

وقد تأثر هذا التصور بجملة من المفاهيم الصوفية المتقدمة التي توسعت في تقسيم المقامات والأحوال، وربطتها بالكشف والإفاضة والولاية الخاصة، حتى أصبحت المقامات عندهم ليست مجرد مراتب إيمانية وسلوكية؛ بل درجات باطنية يترقى فيها السالك إلى ما يصفونه بمنازل الفناء والمعرفة والاستغراق، ومن هنا تتجلى له وحدة الوجود على الوجه المناسب لمقامه، وأساسها الرباني السليم؛ فليست الغاية عندهم أن يصل السالك إلى التصوف القائم على أعمال القلوب والجوارح، فإن أعمال الطاعات ومقامات السلوك الظاهرة يعتبرونها مانعًا من الترقي إلى حلاوة الشهود ولذة المعرفة، وإن الركون إليها من العوائق التي تمنع السالك من الوصول إلى المقامات الأعلى، ويظهر هذا بوضوح في كلام بعض رموزهم، كابن عجيبة: «فإن حلاوة الطاعة سموم قاتلة يمنع الوقوف معها من الترقي إلى حلاوة الشهود ولذة المعرفة، وكذلك الركون إلى الكرامات والوقوف مع المقامات كلها أهوية تمنع مما هو أعلى منها، من مقام العيان، فلا يزال المريد يُجاهد نفسه، ويرحلها عن هذه الحظوظ، حتى تتمحّض محبتها في الحق تعالى، فلا يشتهي إلا شهود ذاته الأقدس، أو ما يقضيه عليه، فإذا ظهر بهذا المقام لم يبقى له مجاهدة ولا رياضة...»[1].

١- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة، (٣١٣/٥).

كشف قول أحمد بن محمد بن عجيبة عن عددٍ من الإشكالات العقدية والسلوكية التي تتعارض مع أصول أهل السنة والجماعة في باب التزكية والسلوك، من خلال تقليله من شأن الطاعات الظاهرة وأعمال القلوب الشرعية، وأنها من السموم القاتلة التي تمنع من الترقي إلى حلاوة الشهود ولذة المعرفة، ثم تقريره أن الوقوف مع المقامات والكرامات يعدّ من الأهوية، وأن السالك إذا وصل إلى هذا المقام لم يبق له مجاهدة ولا رياضة، هذه المضامين تمثل انحرافًا واضحًا عن المنهج السني الذي يجعل العبودية القائمة على الطاعة والمجاهدة أصلَ السير إلى الله تعالى وغاية السلوك الإيماني، لا عقبةً تحول دون المعرفة أو القرب، فنص ابن عجيبة يوحي بوجود مرتبة باطنية تتجاوز مقتضيات التعبد الشرعي، وتنتقل بالسالك من مقام الامتثال إلى مقام الشهود الذي تصبح معه المجاهدة والرياضة غير لازمة، وهو تصور يفتح الباب لإسقاط التكاليف أو التقليل من شأنها، ولو بطريق غير مباشر.

ومن المقرر عند أهل السنة أن لذة الطاعة من أعظم نعم الله على عبده؛ بل هي ثمرة الإيمان الصحيحة، وقد قال النبي ﷺ: «ثلاثٌ من كنّ فيه وجد بهنّ حلاوة الإيمان...»[٢]، فجعل حلاوة الإيمان والطاعة علامة كمالٍ لا سمًا قاتلًا، مما يعد قلبًا للموازين الشرعية وإيهامًا بأن التلذذ بالعبادة نقصٌ في السير إلى الله، مع أن الوحي جاء بمدح أهل الخشوع والإنابة والأنس بالطاعة، كما أن التفريق الذي يقرره ابن عجيبة بين الطاعة والشهود يوحي بتعارض بين الشريعة والحقيقة، بينما يؤكد أهل السنة أن المعرفة الحقة بالله لا تنفصل عن امتثال أوامره، وأن أكمل الخلق معرفة بالله هم أكملهم عبوديةً له، وفي مقدمتهم الأنبياء عليهم السلام، الذين لم تسقط عنهم المجاهدة ولا العبادة مع علو مقامهم، كذلك فإن قول ابن عجيبة: «إذا ظهر بهذا المقام لم يبق له مجاهدة ولا رياضة» يتعارض مع أصلٍ قرآني محكم، وهو دوام التكليف واستمرار العبودية إلى الموت، كما قال تعالى: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ [الحجر: ٩٩]، ولذلك كان السلف يعدّون كل دعوى تفضي إلى سقوط المجاهدة أو الاستغناء عن العمل من تلبيس أهل الانحراف، كما يُلاحظ أن النص يضخم جانب الشهود والذوق الباطني على حساب الاتباع والانقياد، وهو مسلك أدى عند كثير من المتصوفة إلى الغلو في الأحوال والمواجيد حتى أصبحت معيارًا للحقيقة الدينية بدل النص الشرعي، ومن هنا فإن هذا الكلام لا ينسجم مع منهج التزكية السني، الذي يجمع بين العلم والعمل، والظاهر والباطن، والشريعة والحقيقة، باعتبارها أساسَ القرب من الله، لا حجابًا يمنع من معرفته. وقد توسّع عددٌ من منظّري التصوف المعاصر في تقرير ما يُعرف بمقامات الخاصة، وتنوّعت مصطلحاتهم فعبّر بعضهم عنها بمقام الاستغراق، وآخرون بمقام الفناء ووحدة الوجود، بينما عبّر بعضهم بمقام المعرفة، وعلى الرغم من اختلاف هذه التسميات وتباين الدلالات الاصطلاحية المرتبطة بها، فإنها تلتقي عند معنى جامع يتمثّل في فناء إرادة السالك وأفعاله في شهود أفعال الله تعالى وهيمنتها المطلقة، فمثلا يقول أحدهم: «ثم إن من وصل إلى هذا المقام ذاب مراده في مراد الله، ولا تصبح فيه بقية من آثار بشريته، فيستغرق بمحض هذا التدرج في لجج السعود بأطراف القضاء والقدر، ويتمتع بالشر تمتعه بالخير، ويتلذذ بالمصائب والفتن تلذذه بالبشائر والمنن؛ لأنه قد أصبح لا يرى الآثار، ولكن يرى الآثار والأسرار، ولا يعرف الأثر؛ بل يعرف المؤثر، والمؤثر محبوب جميل لطيف رحيم كريم، ففي آثاره الكرم والرحمة واللطف، فهي محبوبة مهما بلغت من الشدة، جميلة مهما بلغت من القبح في عيون الناس،

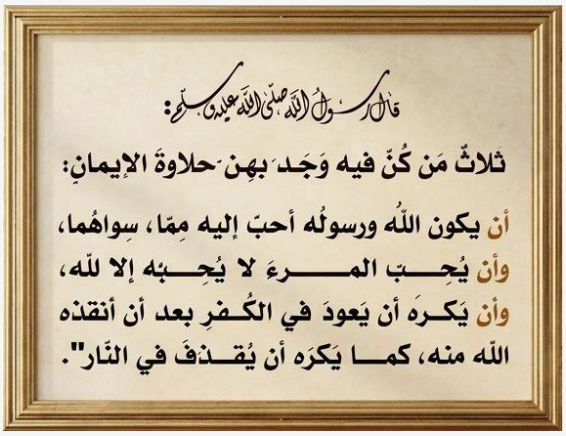

٢- متفق عليه.

فالخيـر لا يأتـي إلا بالخيـر»[٣].

هذا نموذج واضح للنزعة الصوفية الغالية التي تجاوزت حدود الزهد والتعبد المشروع إلى تصورات عقدية وسلوكية منحرفة تحتاج إلى نقد علمي دقيق؛ لأن أهل السنة والجماعة يقررون أن العبد وإن كان مأمورًا بتحقيق كمال العبودية والانقياد لله تعالى، فإن له إرادة حقيقية ومشيئة معتبرة شرعًا؛ لكنها واقعة تحت مشيئة الله سبحانه، كما قال تعالى: (لمن شاء منكم أن يستقيم * وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين) [التكوير: ٢٩]، ثم إن التعبير عن ذوبان الإرادة يلغي التمييز بين الخالق والمخلوق، وهو معنى مرفوض عند أهل السنة، كما أن النص وقع في خلط ظاهر بين الرضا بالقضاء الكوني وبين محبة المقضي نفسه؛ فالله سبحانه قد يقدّر الشر كونًا لحكمة عظيمة؛ لكنه لا يحبه شرعًا ولا يرضاه لعباده، ولذلك فرّق أهل السنة بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية، فالكفر والمعاصي والظلم والفتن كلها واقعة بقضاء الله وقدره؛ لكنها ليست محبوبة لله ولا مأمورًا بها، وقد قال تعالى: (وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد) [البقرة: ٢٠٥]، ومن هنا فإن قوله إن السالك «يتمتع بالشر تمتعه بالخير» يتضمن مخالفة صريحة للمنهج الشرعي الذي يأمر بكراهية الشر والاستعاذة من الفتن ودفع البلاء، وقد كان النبي ﷺ يسأل الله العفو والعافية ويستعيذ من الفتن والمصائب، ولم يكن يتلذذ بها أو يطلبها، كذلك فإن النص يخلط بين الصبر المشروع على البلاء، وبين استحسان الألم ذاته والتلذذ بالمصيبة، وأهل السنة يقررون أن المشروع هو الصبر والرضا بالقدر والتسليم لحكمته، لا محبة الألم نفسه أو اعتبار الشر جميلًا في ذاته، كما أن قوله إن السالك: «لا يرى الآثار ولكن يرى الأسرار» من العبارات الصوفية المجملة التي استُعملت تاريخيًا لتجاوز الأحكام الظاهرة بدعوى شهود الحقيقة الباطنة، وهو مسلك خطير يفضي إلى تعطيل الأمر والنهي وإضعاف سلطان الشريعة، بينما يقوم منهج أهل السنة على الجمع بين الحقيقة والشريعة، وبين الباطن والظاهر، فلا حقيقة صحيحة تخالف النصوص الشرعية، وقد أجمع العلماء والأولياء أن كل حقيقة لا توافق الشريعة فهي زندقة[٤]، ويزداد الإشكال حين يقرر أن آثار القضاء: «محبوبة مهما بلغت من الشدة، جميلة مهما بلغت من القبح»؛ لأن هذا الإطلاق يؤدي إلى تمييع الفوارق الأخلاقية التي قررتها الشريعة، فالقرآن وصف أشياء كثيرة بالقبح والفساد والخبث والفحشاء، ولم يجعلها جميلة من حيث هي أفعال أو صفات، وإنما قد تكون داخلة في الحكمة الإلهية من جهة التقدير الكوني، والفرق كبير بين القول بأن الله يخلق بعض الشرور لحكمة، وبين القول إن الشر جميل محبوب لذاته، ومن هنا يظهر أن النص متأثر بنزعات الفناء ووحدة الشهود التي تؤدي غالبًا إلى سقوط التمييز بين الخير والشر والحسن والقبيح بسبب الاستغراق الوجداني، وهو ما حذر منه علماء أهل السنة لما يفضي إليه من اضطراب في باب العبودية والتكليف.

٣- الدليل إلى الطريقة المحمدية (ص٥٧)، أصول الوصول لمحمد زكي إبراهيم (ص٥٧).

٤- انظر: اللمع في الحوادث والبدع لإدريس بن بيدكين التركماني (ص١٩١).

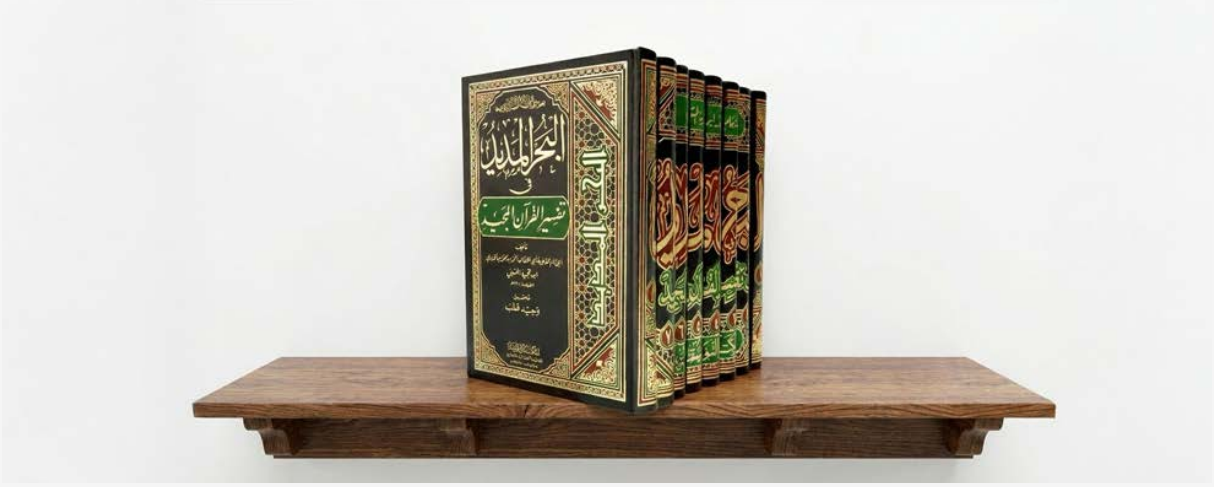

شيـــخ التصـــوف المثير للجـــدل !

نهـــرو الكسنزان..

أسامة الهتيمي – مصر

ربما لم تمر ست سنوات كاملة بعد على تولي د. محمد نهرو محمد عبد الكريم الكسنزان الملقب بشمس الدين مشيخة الطريقة العلية القادرية الكسنزانية الكردية في العراق, إلاّ أنه نجح خلال تلك السنوات القليلة في فرض حضوره كأحد أكثر الشخصيات الدينية إثارة للجدل بالعراق وببعض الدوائر العربية والإسلامية, ليس بسبب موقعه داخل الطريقة, وإنما لأسباب أخرى أهمها تداخل أبعاد متعددة في تشكيل صورته العامة حيث يجمع بين دور المرشد الروحي والزعيم السياسي ورجل الأعمال والإعلامي.

ولعل التحولات السياسية والطائفية العميقة التي شهدها العراق خلال السنوات الأخيرة ساهمت في تصاعد الزخم حول شخصية الدكتور نهرو باعتباره من الشخصيات الدينية التي اعتمدت على الرصيد الرمزي والاجتماعي للتصوف في توسيع حضورها العام ومن ثم السياسي والاقتصادي, مستغلا في ذلك تقديم الطريقة الكسنزانية لنفسها كجامعة للمذاهب, وداعية للتسامح, وهو ما يفتح الباب أمام تساؤلات تتجاوز حدود الدور الديني للطريقة إلى طبيعة علاقتها بالتصوف التقليدي وحدود انخراطها في المجالين السياسي والاقتصادي.

كما يمتد الجدل المحيط بشخصية د. نهرو إلى طبيعة المشروع الذي يمثله وحدود الدور الذي يسعى إلى أدائه داخل العراق وخارجه, الأمر الذي يعني أن فهم شخصيته لا يقتصر على تتبع سيرته الذاتية أو مساره داخل الطريقة الكسنزانية وإنما يقتضي الوقوف على البيئة التي نشأ فيها والخلفية الفكرية والتنظيمية التي ينطلق منها, وطبيعة الشبكات والعلاقات التي أسهمت في تشكيل مكانته, فضلًا عن أبرز الانتقادات والإشكاليات التي أثيرت حوله وحول طريقته.

ماهية الكسنزانية

الكسنزانية هي طريقة صوفية شائعة في العراق وبعض الدول الأخرى, وتعرف بالطريقة العلية القادرية الكسنزانية, حيث ينسبها أتباعها إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه والشيخ عبد القادر الجيلاني والشيخ المؤسس عبد الكريم شاه الكسنزان (١٨٢٤-١٩٠٢م) الذي لقب بـ «كسنزان» وتعني بالكردية «لا يعلم حقيقته أحد»! حيث ذهب المؤسس للخلوة لأربع سنوات في جبال قره داغ قرب السليمانية.

ورغم أن بدء الدعوة للطريقة يعود لعقود طويلة إلا أن انتشارها الحقيقي كان في تسعينيات القرن الماضي بالعراق في ظل حكم الرئيس الراحل صدام حسين حيث كان هذا الانتشار بغطاء من عزة الدوري نائب رئيس الجمهورية آنذاك الذي حضر لهم بعض حلقات الذكر وواظب على دعمهم لفترات طويلة[1].

واتسمت الطريقة ببعض التصريحات والتصرفات التي لا تنسجم مطلقا مع التوجيهات الإسلامية, ومنها دعوة الأتباع لعدم حضور صلاة الجمعة والجماعات بالمساجد وحلق اللحى وإطالة شعر الرأس وتجنب مقاومة المحتل الأمريكي بعد غزو العراق عام ٢٠٠٣ فضلا عن حثها

١- https://pw.٢u/UjeB٩٤

لهم على التوجه إلى التكايا الخاصة بالطريقة بديلا عن المساجد والدروشة.

كما أن للطريقة وأتباعها طقوسًا غريبة كأكل الزجاج ومضغ أمواس الحلاقة وابتلاعها، والتعرض للدغ الأفاعي، ولمس التيار الكهربائي، وإدخال أسياخ وسيوف في الخدين واللسان والصدر والبطن، والضرب بالدرباشة - وهي الأداة الحادة التي يستخدمها مريدو هذه الطريقة - دون الشعور بالألم أو مضاعفات بالجرح، وغير ذلك من السلوكيات، حيث يدّعون أن هذه الطقوس هي امتداد لمعجزات النبي صلى الله عليه وسلم لإثبات وجود الله وهداية الضالين، فيما زعم مشايخ الطريقة أن هذه الطقوس تقع بالقوة الروحية للشيخ، ويحدّدون مدى الحاجة إليها حسب الظروف الإرشادية[2].

وبالطبع فقد لاقت هذه التصريحات وهذه السلوكيات استهجانا شديدا من العلماء والمجتمعات المسلمة حيث وصفوها بأنها مساعدة شيطانية وتلبّس، فقد اعترف الشيخ علي أبو عمر في شهادته لـ د. جمال الباشا بأن الشياطين تساعدهم في المشي على الماء وإطلاق الرصاص على الجسم[3]، بينما أكد د. عبد الله الهيتي الأكاديمي العراقي وأستاذ التفسير بالجامعة العراقية في بغداد أن ذلك استدراج من الشيطان بنظر معظم العلماء المتفق عليهم في الأمة الإسلامية[4].

ووفق قواعد الطريقة فإن المريد يخضع لخلوات مدتها ٤٠ يوما عادية، أو ١٢٠ يوما خاصة، مع تقسيم الطعام على مراحل، على أن يكون ذلك بإذن الشيخ، إذ يُحظر على المريد الدخول بدون إذن بسبب خطر الشيطان، فيما ترى الطريقة أن الأوراد الثقيلة مثل «يا هو» و«دايم» -مائة ألف مرة- هي نظام تربوي يعزز الولاء للشيخ والطريقة، وقد تؤدي إلى حالات «جذبة» و«فناء» تشبه الحلول الذي يتعارض مع عقيدة التوحيد السنية فيما أنه لا أصل شرعيًا على الأطلاق لنمط الخلوة وفق ما تطرح الطريقة[5].

أيضا وعلى الرغم من أن الطريقة تؤكد انتسابها إلى عبد القادر الجيلاني الحنبلي إلا أنها تتبنى أفكارا مثل «وحدة الوجود» عند ابن عربي، وهو ما ينكره الجيلاني نفسه صراحة في كتبه مثل فتوح الغيب بحسب تأكيد الباحثين[6].

النشأة

ولد نهرو في مدينة كركوك في ١٢ ديسمبر ١٩٦٩م، وتلقى تعليمه في العراق وخارجه حيث حصل على بكالوريوس علوم الحاسبات من جامعة بغداد، وبكالوريوس في اللغة الإنجليزية من المملكة المتحدة ثم نال درجة الماجستير في التاريخ، وواضح أنها نشأة لا بعد شرعيًا ومشيخيًا فيها بحسب طبيعة الطريقة نفسها، وأعقب هذه المرحلة بالحصول على الدكتوراه في التاريخ الإسلامي حول محمد الفاتح مما يسهم في تقديمه في داخل مؤسسات الطريقة وخارجها بوصفه زعيمًا يجمع بين التكوين الديني والخلفية الأكاديمية.

وقد سعى نهرو منذ توليه للمشيخة في يوليو ٢٠٢٠م لتقديم نفسه بوصفه ممثلا لنسخة من التصوف تتجاوز الانتماءات المذهبية والقومية، وهو خطاب تحرص الطريقة الكسنزانية على تأكيده في أدبياتها الرسمية في السنوات الأخيرة، ومن ثم فقد عمل على تعزيز حضوره في المجالات السياسية والإعلامية والثقافية والاقتصادية مستفيدا من شبكة المؤسسات والمراكز والشركات المرتبطة بالطريقة أو بقياداتها ليكون بذلك شخصية مركبة يراها أنصاره امتدادا طبيعيًا لمسار الأسرة الكسنزانية فيما يراها آخرون نموذجًا لتداخل الدين بالسياسة والاقتصاد والإعلام[7].

قضايا مثيرة

إذا كانت الطريقة الكسنزانية أثارت الجدل بسبب أفكارها وممارساتها السياسية والصوفية المنحرفة، فإن شخصية نهرو الكسنزاني بدورها لم تكن أقل إثارة للجدل، بل ربما تجاوزت في بعض جوانبها الجدل المرتبط بالطريقة نفسها، فقد ارتبط اسمه -على مدار سنوات طويلة-

2- https://2u.pw/xpUk6b -
3 https://2u.pw/RorlGU -
4 https://2u.pw/xpUk6b -
5 https://2u.pw/i8l2SH -
6 https://2u.pw/xAo8PV -
7 https://2u.pw/S7d8em -

بملفات وقضايا سياسية وفكرية واجتماعية وأمنية متشابكة جعلته محل اهتمام دائم من جانب الباحثين والإعلاميين والمهتمين بالشأن العراقي.

وتتعلق أولى هذه القضايا بطبيعة سلوكه الشخصي وتوجهاته الفكرية والسياسية التي كانت ولم تزل أقرب إلى الرؤية العلمانية[٨] منها إلى التصورات الإسلامية، فقد أثار زواج نهرو عام ٢٠٠٧ من الممثلة السورية المعتزلة نورمان أسعد[٩] ردود فعل واسعة ومتباينة، ففي حين اعتبرها البعض شأنا شخصيا لا علاقة له بموقعه الديني كمرشح لزعامة طريقة أبيه، رأى آخرون أنها لا تنسجم مع الصورة الذهنية المتوارثة لشيخ الطريقة الصوفية الذي يفترض فيه الزهد والابتعاد عن مظاهر الشهرة والأضواء، بينما سعى أنصاره إلى تقديم هذا الزواج بوصفه دليلا على انفتاحه وتحرره من القوالب التقليدية.

وتأكدت نزعته العلمانية حين تسلم زعامة الطريقة بعد أبيه، فظلّ خطابه السياسي العام منصبًا على مفاهيم علمانية مع غياب أي خطاب إسلامي في طرحه!

ومن أكثر الملفات إثارة للجدل تلك المتعلقة بعلاقته وعلاقة أبيه من قبله بالولايات المتحدة الأمريكية حيث لاحقت الرجل منذ سنوات اتهامات متعددة بالتقارب مع واشنطن، بل وبالعمل لمصلحة دوائرها السياسية والأمنية، إذ ووفق ما نقلته تقارير إعلامية عن صحيفة واشنطن بوست الأمريكية

فقد عمل نهرو خلال فترة التحضير للغزو الأمريكي على العراق عام ٢٠٠٣ مخبرا لوكالة «سي آي إيه»[١٠].

وتعززت هذه الاتهامات بفعل نشاطه السياسي الواسع بعد عام ٢٠٠٣، بل وتوجهه في سبتمبر عام ٢٠٢١ لتأسيس مركز عالمي للتصوف بأمريكا، حيث شدد على ترسيخ لغة المحبة بين الناس ونشر قيم التسامح والسلام والتعاون بين الجميع بغض النظر عن الانتماء العرقي والديني والمذهبي[١١].

فيما أن هذه الاتهامات لم تتوقف عند حدود خصومه السياسيين، بل وجدت طريقها إلى عدد من التقارير والدراسات التي تناولت دوره في مرحلة ما بعد سقوط نظام صدام حسين، ومواقفه القوية والمعلنة المناهضة لإيران في مراحل سابقة، وإلى ما نُسب إليه من اتصالات ورسائل مع مسؤولين أمريكيين باعتبارها مؤشرات على حجم التقارب بينه وبين واشنطن[١٢].

وقد تبدل موقف نهرو المناهض لإيران والداعي لصراع مسلح معها بالتعاون مع الأمريكان قبل سنوات، إلى دعوات تقارب وتعاون وانفتاح على التشيع، وذلك حين تطورت طموحاته السياسية وتجاوزت الاكتفاء بالحضور الديني أو الاقتصادي، فخاض العمل السياسي بصورة مباشرة من خلال تأسيس وقيادة كيانات وتحالفات سياسية عراقية، الأمر الذي دفع العديد من المراقبين إلى الحديث عن طموح يتجاوز حدود العمل الحزبي التقليدي ليصل إلى السعي نحو تولي رئاسة الدولة العراقية بوصفه زعيمًا كرديًا، ومعلوم أن منصب رئاسة الجمهورية العراقية من نصيب الأكراد[١٣].

ومن المثير للاهتمام التراجع أو إعادة التموضع في مواقف نهرو والطريقة الكسنزانية التي أصبحت أكثر حرصا على تجنب الصدام مع طهران، كما اتجه خطابها إلى التركيز على التقارب والحوار والوحدة بين السنة والشيعة، بالإضافة إلى ما سعت الطريقة إلى إبرازه من انتسابها لموسى الكاظم، وتعاطيها مع آل البيت، والاحتفاء والتمجيد للإمام الحسين بالطريقة الشيعية، وحرصها أيضا على إحياء عاشوراء، والمبالغة في التقديس الروحي للمشايخ، وغير ذلك[١٤]!

ولا شك أن هذا التحول يعكس إلى أي مدى تعد شخصية الرجل انتهازية، فقد أدرك أن الوصول إلى مواقع متقدمة في الدولة العراقية والوصول لكرسي الرئاسة يظل رهنا بإقامة علاقات مستقرة مع القوى المؤثرة في المشهد العراقي وفي مقدمتها إيران وأذرعها الشيعية متجاهلا ومتناسيا تاريخه من العداء لها.

وخلال السنوات الأخيرة دخل اسم نهرو الكسنزاني دائرة جدل أكثر حساسية بعد تداول اتهامات تتعلق بالتجسس والارتباط بأطراف خارجية، فإلى جانب الاتهامات القديمة المرتبطة بالتعاون مع أجهزة أمريكية، تداولت بعض المنصات الإعلامية ومواقع التواصل الاجتماعي مزاعم عن تورطه أو مقربين منه في أنشطة مرتبطة بالتجسس لصالح إسرائيل خلال فترة الحرب الأخيرة بين إيران وإسرائيل وأمريكا[١٥].

8 https://2u.pw/4sRY0cg8 -
9 https://2u.pw/KIZOXk -
10 https://2u.pw/4sRY0cg8 -
11 https://2u.pw/nuCj6o -
12 https://2u.pw/tCGez5 -
13 https://2u.pw/4sRY0cg8 -
14 https://kasnazan.com/ -
15 https://2u.pw/WXJv52 -

وعلى الرغم من أن هذه الاتهامات ظلت محل أخذ ورد ولم تحسم بصورة نهائية فإنها أسهمت في زيادة الجدل المحيط بالرجل وبالطريقة الكسنزانية وهو ما دفع بعض الوسائل الإعلامية العراقية لأن تتداول عام ٢٠٢٥ أخبارا عن مغادرة نهرو الكسنزاني العراق أو الهروب منها متوجها إلى الولايات المتحدة الأمريكية برفقة عدد من أفراد أسرته.

كما تحدثت بعض المصادر عن وجود حالة من الغضب والاستياء داخل أوساط مقربة من الطريقة وعن مشاورات لإعادة النظر في وضعه على رأس المشيخة, بل وذهبت بعض الروايات إلى الحديث عن تحركات تستهدف عزله من زعامة الطريقة وإسناد إدارتها إلى أحد أشقائه حفاظا على إرث الأسرة والطريقة من تداعيات تلك الاتهامات.

ولا يفوتنا هنا أيضا التوقف عند الاتهامات المتعلقة بالفساد المالي والإداري التي طالت نهرو الكسنزاني وبعض المقربين منه وهي الاتهامات التي حظيت باهتمام إعلامي واسع داخل العراق, فقد برز اسم العائلة بصورة لافتة بعد تعيين شقيقه ميلاس الكسنزاني وزيرا للتجارة العراقية عام ٢٠١٤[١٦], إذ أثيرت اتهامات تتعلق بتلقيه رشى, ووجود مخالفات في بعض عقود استيراد الأرز الخاصة بالبطاقة التموينية وهو ما ترتب عليه صدور أوامر قبض بحق عدد من المتهمين في القضية من بينهم شخصيات مرتبطة بالعائلة الكسنزانية.

وبطبيعة الحال فقد نفى نهرو تلك الاتهامات, معتبرا أنها ذات دوافع سياسية وتندرج في إطار الصراع والاستهداف الذي تتعرض له شخصيات وقوى عراقية فاعلة.

على كل بدا من خلال ما استعرضناه أن شخصية نهرو الكسنزان تبرز كنموذج لرجل السياسة والاقتصاد والإعلام الذي استطاع أن يوظف موقعه الديني باقتدار لتحقيق الكثير من الطموحات الخاصة دون أن ينعكس ذلك سلبا على مكانته داخل الطريقة أو على ولاء أتباعه, رغم أن مثل هذه الطموحات والأنشطة بعيدة عن الصورة التقليدية للمتصوف الزاهد الذي يفترض أنه منصرف إلى التربية الروحية والسلوك الديني وفق تصورات المتصوفة.

---

١٦ https://shorturl.at/FPoBAH - Ya

الطريقة العلية القادرية الكسنزانية

17 / الحج / 1501 / محمـــــدي
17 / ذو الحجة / 1447 / هجـــري
3 / حزيـــران / 2026 / ميـــلادي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ صدق الله العظيم

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الوَصْفِ وَالوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ وَالحِكْمَةِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بمناسبةِ عيدِ الغديرِ المباركِ، وفي الذكرى العطرةِ لبيعةِ غديرِ خُمٍّ الخالدةِ، التي تجلّتْ فيها معاني الوفاءِ والولايةِ والمحبّةِ والاقتداءِ بأهلِ بيتِ النبوّةِ الأطهارِ، تتقدّمُ الطريقةُ العليّةُ القادريّةُ الكسنزانيّةُ مُتمثّلةً برئيسِها سماحةِ السيّدِ الشيخ شمس الدين محمّدٍ نهرو الكسنزان القادريّ الحسينيّ (قُدّستْ أسرارُهُ)، بأسمى آياتِ التهاني والتبريكاتِ إلى العالمِ العربيّ والإسلاميّ، وإلى شعوبِ العالمِ أجمعَ، جاعلةً من هذا اليومِ المبارك (يومِ الغدير) محطّةً إيمانيّةً عظيمةً نستذكرُ فيها المكانةَ الساميةَ لحضرةِ الإمامِ عليّ بنِ أبي طالبٍ (كرّمَ اللهُ وجهَهُ)، الذي كانَ مثالًا للعلمِ والحكمةِ والعدلِ والشجاعةِ والزهدِ والإخلاص، فكانَ بحقٍّ مدرسةً إنسانيّةً وروحيّةً كاملةً تستلهمُ منها الأجيالُ معانيَ الحقِّ والاستقامةِ والخُلُقِ النبيل .

وفي هذه المناسبةِ المباركةِ، ندعو إلى استلهامِ الدروسِ العظيمةِ منها في توحيدِ الصفوفِ، وتعزيزِ أواصرِ الأخوّةِ بينَ أبناءِ الأمّةِ الإسلاميّةِ، والعملِ المشتركِ من أجلِ خيرِ الإنسانِ وكرامتِهِ وسلامِهِ ، بما يحقّقُ في نشرِ الخيرِ والعدلِ والمحبةِ بينَ الناس.

ونسألُ اللهَ تعالى أنْ يُعيدَه على الجميعِ بالخيرِ واليُمنِ والبركاتِ، وأنْ يديمَ عليهم نعمةَ الأمنِ والاستقرارِ، ويجعلَ أيّامَهم عامرةً بالإيمانِ والمحبّةِ والسلام. وكلُّ عامٍ وأنتم بخيرٍ، وإلى اللهِ أقربُ، وبمحبّةِ آلِ بيتِ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلّمَ أزكى وأطيبُ.

وصَلّى اللهُ تعالى على سيّدِنا محمّدٍ الوصفِ والوحيِ والرسالةِ والحكمةِ وعلى آلِهِ وصحبِهِ وسلّمَ تسليماً

رئاسة الطريقة العلية القادرية الكسنزانية

قول ابن تيمية في الصوفية والتصوف

د. لطف الله خوجة – مكة المكرمة

لشيخ الإسلام ابن تيمية دور بازر غير مسبوق ولا ملحوق في نقد التصوف، لكن لما كان بعدل وإنصاف، اشتبه كلامه فظن من ظن من متصوف وغيره: أنه مؤيد مُقسّم للتصوف إلى حسن وغيره، وشطح بعضهم فجعله صوفيا، وتحرير قوله يوجب معرفة المنهج في فهم كلام العالم وحكمه في القضية، فلا تستخلص النتيجة إلا بضم ما ورد بعضه إلى بعض؛ إذ قد يتشدد في موضع، ويتوسط في آخر، وربما لان ويسّر في ثالث لداعٍ دعا، فمن أخذ بتشديده أهمل تيسيره، ومن أخذ بتيسيره أهمل تشديده، والمصيب مَن نظر في جملة كلامه؛ ليحمل المجمل على المفصل، والمتشابه على المحكم، فيقف به على مراده.

وإن مما يعين على الفهم: التفريق في الحكم بين الفكرة والأعيان. فالثناء على الأعيان لا يلزمه ثناء على الأفكار، فليس كل منتسب لفكر ممتثل له بكافة، بل قد يخلطه بغيرها.

والحكم على المعين يقوم على: الموازنة بين ما أصاب فيه وما أخطأ. فانتسابه لفكر ما لا يلزمه تضليل مطلق، ولا تعديل مطلق، بل بحسب ما أصاب وأخطأ.

فابن تيمية راعى هذه القواعد، بل نصّ عليها، فإذا ما أتى إلى الفكر الصوفي، لم يتردد في وصفه بالبدعة، وإطلاق هذا الحكم الكلي عليه، والشروع في نقض أصوله وفروعه، وبيان مخالفته للإسلام والسنة وطريقة السلف، وقد ألف كتبا في هذا: الاستقامة، وبغية المرتاد، وما في الفتاوى المجلد (٢/١٠/١١).

وإذا ما جاء إلى الحكم على أعيانه فصّل: فما أصابوا فيه مدحهم عليه، ودعا الأتباع للاقتداء بهم، مثل قولهم بالتقيد بالكتاب والسنة، فقد أصابوا في هذا قولا، لكن لما لم يطابقوه عملا نقدهم وأبان عن خطئهم، فهو يحمدهم ويذمهم بحسب أحوالهم وإصابة الحق.

فقد وصف التصوف بـ: الحادث، المنحرف، المختلط، المظلم، والطريقة الناقصة، وأنه عمل بلا علم، وأن فيه شبهًا من النصرانية المحرفة، وهو يقابل الكلام في ترك بعض الدين، وفي مواضع يطلق عليه وصف البدعة تصريحا، ويقرر: أن اتخاذ الصوف عبادة بدعة!

ومراده بالتصوف البدعي: ذلك التعبدي الزهدي السلوكي، وهو حال ابتداء التصوف؛ فقد كان فيه السماع والرقص، والزهد البدعي، وترك العلم، والعشق الإلهي ولما يظهر بفلسفته .

فوصفه بالبدعة يبطل ما نسب إليه من وجود تصوف حسن معتدل على السنة، فما كان بدعة فهي ضلالة، وليس منها ما هو موافق للسنة، وهكذا هو قوله المحرر والمحقق في التصوف.

فقد وصفه بالحادث، والحادث بدعة، لقوله صلى الله عليه وسلم: (إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة). جاء ذلك في كلامه على زمن ظهور البدع، فذكر انقضاء القرون الثلاثة المفضلة في أواخر بني أمية، بانقضاء جمهور تابعي التابعين؛ حيث إن العبرة بانقضاء القرن موت جمهوره، فجمهور الصحابة انقرضوا بنهاية خلافة الأربعة، وجهور التابعين في إمارة ابن الزبير وعبد الملك، وجمهور تابعي التابعين بنهاية بني أمية وبداية بني العباس، وبعد ذلك انتقلت الولاية من العرب إلى العجم، وعرّبت كتب الفلسفة اليونانية والهندية والفارسية، ثم قال:

- «حدث ثلاثة أشياء: الرأي، والكلام، والتصوف» (الفتاوى ١٠/٣٥٨).
- «وصار لهؤلاء من الكلام المحدث طريق يتدينون به، مع تمسكهم بغالب الدين، وصار لهؤلاء من التعبد المحدث طريق يتمسكون به، مع تمسكهم بغالب التعبد المشروع» (الفتاوى ١٠/٣٥٩).

وإذا صار التصوف بدعة حادثة، فيلزم عنه أن المتصوفة من أهل البدع، وفي تقريره يقول:

- «وإطلاق القول بأن الصوفي مع قلبه، هو من جنس ما ذم به هؤلاء المتصوفة، حتى جُعلوا من أهل البدع؛ لأنهم أحدثوا في طريق الله أشياء لم يشرعها الله، فكان لهم نصيب من قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]». (الاستقامة ١/٤١٤)
- وهذه حال أهل البدع؛ فإنهم عبدوا غير الله، وابتدعوا عبادات زعموا أنهم يعبدون الله بها، فهم إنما اتبعوا أهواءهم، فإن أحدهم يتبع محبة نفسه، وذوقها، ووجدها، وهواها من غير علم، ولا هدى، ولا كتاب منير» (الفتاوى ١٠/٥٩٢).

يؤكد التبديع بتشبيه انحرافهم عن صحيح الملة والسنة بانحراف المتكلمة والنصارى، فيقول:

● «ذلك أن هؤلاء فيهم انحراف يشبه انحراف اليهود في العلم والكلام، وهؤلاء فيهم انحراف يشبه انحراف النصارى أهل العبادة والإرادة» (الاستقامة ٢٢١/١).

● «ثم إن المنحرفين المشابهين للصابئة: إما مجردة، وإما منحرفة إلى يهودية أو نصرانية، من أهل المنطق والقياس؛ الطالبين للعلم والكلام. ومن أهل العمل والوجد؛ الطالبين للمعرفة والحال. أهل الحروف، وأهل الأصوات» (الفتاوى ٥٤/٢).

أهل الأصوات هم المتصوفة؛ فلهم السماع والرقص، والوجد والمعرفة والأحوال ومشابهة النصرانية، وهم والمتكلمة على بابين من أبواب البدع، فهذا في العلم، وهذا في العمل.

ويتبين ضلال وانحراف الفرقتين بعرضهما على الميزان الصحيح للحق، وهو ما عليه أهل السنة والسلف، الذين أخذوا بالدين كله، فلم يتركوا بعضه كما فعلت المتصوفة والمتكلمة.

وقال: - «**انقسمت الأمة إلى ثلاث فرق:**

*فالجامعون حققوا كلا معنييه؛ من القول التصديقي، والعمل الإرادي.

وفريقان فقدوا أحد المعنيين:

*فالكلاميون غالب نظرهم وقولهم في الثبوت والانتفاء والوجود والعدم والقضايا التصديقية، فغايتهم مجرد التصديق والعلم والخبر.

*والصوفيون غالب طلبهم وعملهم في المحبة، والبغضة، والإرادة، والكراهة، والحركات العملية، فغايتهم المحبة والانقياد والعمل والإرادة.

وأما أهل العلم والإيمان، فجامعون بين الأمرين؛ بين التصديق العلمي والعمل الحبي، ثم إن تصديقهم عن علم، وعملهم وحبهم عن علم، فسلموا من آفتيْ منحرفة المتكلمة والمتصوفة، وحصلوا ما فات كل واحدة منهما من النقص» (الفتاوى ٤١/٢-٤٢).

● «وقد كتبت قبل هذا في (القواعد) ما في طرق أهل الكلام والنظر، وأهل الإرادة من الانحراف، إذا لم يقترن بمتابعة الرسول. وكان أهل المدينة أقرب من هؤلاء وهؤلاء في القول والعمل؛ إذ لم ينحرفوا انحراف الطائفتين من الكوفيين والبصريين هوى ورأيا وكلاما وسماعا» (الفتاوى ٣٦٠/١٠).

● «فإن كلا من المنحرفين له مفسدتان:

أحدهما: القول بلا علم، إن كان متكلما، والعمل بلا علم، إن كان متصوفا. وهو ما وقع من البدع الكلامية [المتكلمة] والعملية [المتصوفة] المخالفة للكتاب والسنة.

والثاني: فوّت المتكلم العمل، وفوّت المتصوف القول والكلام. وأهل السنة الظاهرة والباطنة: كان كلامهم وعملهم باطنا وظاهرا بعلم، وكان كل واحد من قولهم وعملهم مقرونا بالآخر، وهؤلاء هم المسلمون حقا، الباقون على الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم، غير المغضوب عليهم، ولا الضالين» (الفتاوى ٤١/٢).

فهي طرائق ومذاهب ثلاثة: تصوف، وكلام، وسنة.

والأولان فيهما نقص في العلم والعمل، وإذا ما قورنا بطريقة القرآن وأهل السنة والجماعة فالكمال والصواب فيها لا فيهما؛ فمن فرط في العلم أضر بالعمل، ومن فرط في العمل فعلمه مضر، قال:

«والطريقة السماعية العملية الصوتية المنحرفة، توافق على المقصود العملي، لكن لا بعلم، بل بصوت مجرد، أو بشعر مهيج، أو بوصف حب مجمل. فكما أن الطريقة الكلامية فيها علم ناقص بلا عمل، فهذه الطريقة فيها عمل ناقص بلا علم. والطريقة النبوية القرآنية السنية الجماعية فيها العلم والعمل كاملين» (الفتاوى ١/٢).

وعادة الفرق البدعية: أن أربابها يخلطون بدعهم بالسنة إما جهلا أو لينفق عند العامة، وبهذا النهج، التصوف جرى في أوله، فلما ضرب بعطن تهاوت وتداعت الآثار النبوية على قلة وضعف، فتطاولتها وغلبتها الأفكار والسلوك الصوفي المحض عند المتأخرين، قال:

● «ثم المتقدمون الذين وضعوا طرق الرأي والكلام والتصوف وغير ذلك، كانوا يخلطون ذلك بأصول من الكتاب والسنة والآثار؛ إذ العهد قريب، وأنوار النبوة بعد فيها ظهور، ولها برهان عظيم، وإن كان عند بعض الناس قد اختلط نورهما بظلمة غيرها. فأما المتأخرون فكثير منهم جرد ما وضعه المتقدمون.. وكذلك من صنف في التصوف والزهد، جعل الأصل ما روي عن متأخري الزهاد، وأعرض عن طريق الصحابة والتابعين، كما فعل صاحب الرسالة القشيري، وأبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي، وابن خميس الموصلي في مناقب الأبرار، وأبو عبد الرحمن السلمي في تاريخ الصوفية» (الفتاوى ٣٦٦/١٠).

هكذا يتبين رأيه وحكمه في الفكرة الصوفية جليا، فهي عنده بدعة محدثة منحرفة، والصوفية مبتدعة أهل هوى، فليسوا على الشرع المنزل، فلا ينبغي أن يكون مذهبهم أصلا:

● «فالعلم المشروع، والنسك المشروع مأخوذ من أصحاب رسول الله، وأما ما جاء عمّن بعدهم فلا ينبغي أن يجعل أصلا، وإن كان صاحبه معذورا، بل مأجورا؛ لاجتهاد أو تقليد» (الفتاوى ٣٦٣/١٠).

ملف العدد | الغرب وتوظيف التصوف

- **الإمبريالية و التصوف** - يوسف سمرين
- **مقاصد الدراسات الاستشراقية لوحدة الوجود** - د. طارق الحمّودي
- **التصوف والتوظيف في مراكز الأبحاث الغربية** - د. محمد أبو سلمان الشامي

خزانة الوثائق

- **«لباس الفتوة»: بين نصرة المظلوم وتوظيف السلطة** - د. دعاء أحمد

عصارة الكتب

- **هل راهن الغرب على التصوف؟** - فاطمة عبد الرؤوف

الإمبريـــاليـــة و التصـــوف

يوسف سمرين – القدس الشريف

الإمبريالية صورة متطورة من السّياسة التي تؤسس وتحافظ على النُّفوذ والسَّيطرة، لتضمن دولة متطورة اقتصاديًا وعسكريًا تبعيَّة المناطق الأخرى لها وإن كان ذلك تحت مسميات مثل التَّعاون السّياسي[1]، فقد تراجع سلوك الاستعمار المباشر في العالَم لصالح السَّيطرة غير المباشرة وتعزيز النفوذ، إذ تطوَّرت الأدوات الإمبريالية مع تعاظم التَّقدُّم الاقتصادي الرَّأسمالي، وتقدُّم التِّقنية تبعًا لذلك، وكان للنظّام الرأسمالي ارتباطه بالسّياسة، إذ أضحى «المظهر الأساسي للرَّأسمالية الحديثة هو سيطرة الاتحادات الاحتكارية التي يكوّنها كبار الرَّأسماليين، حين تسيطر مجموعة واحدة على جميع موارد المواد الأولية»[2]، فغدا التَّنافس في «الاندفاع التَّوسعي لكلّ أمَّة رأسماليَّة متقدِّمة سعيًا وراء العمل على نطاق دولي، وتطوُّر الاحتكار، والمنافسة القومية المرتبطة بحاجات الاقتصادات المتقدِّمة ذات البنى الاحتكارية»[3].

١ - الثقافة والإمبريالية، إدوارد سعيد، ترجمة: كمال أبو ديب، دار الآداب، ط ٤، ٢٠١٤، ص ٨٠.

٢ - الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية، لينين، ترجمة: راشد البرَّاوي، مكتبة النَّهضة المصرية، ط ٢، ص ٨٩، باختصار يسير.

٣ - الإمبريالية من عصر الاستعمار حتى اليوم، هاري ماجدوف، مؤسسة الأبحاث العربية، ط ١ العربية، ١٩٨١، ص ١٣٩.

هذا التَّنافس المحموم بين الدَّول المتقدِّمة، شمل دعم أنظمة تحقق الفائدة لصالح دول المركز، مثل دعم الولايات المتحدة الأمريكية للانقلاب في تشيلي سنة ١٩٧٣م وكان ذلك بمشورة هنري كيسنجر، حتى إنَّ «التَّدخلات العسكرية للولايات المتَّحدة منذ الحرب العالمية الثَّانية قد حدثت ولا تزال تحدث في كلِّ قارَّة تقريبًا، والكثير منها عظيم التَّعقيد والمدى، وباستثمار قومي هائل»[٤]، وكان يرافقه دومًا دعاية غير صريحة للأهداف الحقيقية للتَّدخل، بل صوِّرت في كلِّ وقت أنَّ أفعالها «منذورة لغايات لا يرقى إليها التَّجريح مثل الحريَّة والديموقراطية»[٥]، رغم أنَّ الواقع الذي لا يتغيَّر بالنِّسبة «للضَّحية، أنَّه لا تقدِّم الإمبريالية سوى البديلين التَّاليين: فلتخدم، أو فلتدمَّر!»[٦].

ولضمان ذلك سعت الإمبريالية لنشر ثقافة تسهِّل عملها، وأحيانًا تحالفت مع ثقافات محليَّة موجودة يمكن استثمارها في تضليل رؤية واقعها، ومن بين تلك الثَّقافات: التَّصوُّف، فقد حمل تراثيًا شُحنة كبيرة من المؤهلات التي تجعله خاضعًا، وإن ثار أصحابه فهو يحمل في داخله ما يمنع عليهم القدرة على تحقيق فعالية في مواجهة القوى التي تسعى للسيطرة على المناطق التي ينتشرون فيها لأسباب تتعلَّق بالنَّظرة الصُّوفية للعالم.

فقد تأسس التَّصوف بأهداف مخالفة للغايات السَّياسية، فهدفه تهذيب النفس لا تنظيم المجتمع، ودار في فلَك الوعود بالنَّجاة الرُّوحية لا الهندسة السِّياسية، وهو يدعو إلى تجاوز التَّعلق بالعالم لا السَّيطرة عليه، ويرى الفَناء لا الصِّراع الاستراتيجي طويل المدى، فقد نشأ التَّصوف في مرحلة باكرة وبدأ يوطد دعاماته مطلع القرن الثَّاني الهجري[٧]، بالتَّقشف والانهماك بالحالة القلبيَّة الفردية، حتى دفعت الكلمات الأولى للصُّوفية إلى مراحل أخرى تالية عليها، منها ما تمظهر في الطُّرقية التي يتربَّع على رأس تجمُّعاتها شيوخ وتحتهم في الرُّتبة مريدون، وبلغ التَّصوُّف أحيانًا مرحلة متطرِّفة من الصِّدام مع ظاهر الشَّريعة مثل حسين بن منصور الحلَّاج (٣٠٩هـ) الذي تحرَّك في ثقافة قريبة من التَّشيُّع الإماميّ، إذ كان أحد مدَّعي السَّفارة عن المهدي وفق ما ساد عند الشِّيعة الإماميَّة حتى قتلته السُّلطة العبَّاسية[٨]، ومن كلامه: «على دين الصَّليب يكون موتي»[٩]، وقال:

كفرتُ بدينِ الله والكفرُ واجبٌ *** لديَّ وعند المسلمين قبيحُ[١٠]

مرورًا بقوله حين سئل ما معنى لا إله إلا الله؟ فقال: «كلمة شغل بها العامة لئلا يختلطوا بأهل التَّوحيد»[١١]، فتحوَّل التَّوحيد إلى غنوصية خاصَّة لا يدركها إلا أمثال الحلَّاج، مع تعظيمه لإبليس وفرعون، قال: «صاحباي وأستاذاي إبليس وفرعون، وإبليس هدد بالنَّار وما رجع عن دعواه، وفرعون أغرق في اليمِّ، وما رجع عن دعواه ولم يقر الواسطة البتة»[١٢]، ومع أنَّ كثيرين من الصُّوفية تحاشوا ذكر الحلَّاج لموقف الفقهاء منه، إلا أنَّ صوفيًا يصنفه كثيرون على أنَّه معتدل، وهو أبو حامد الغزالي (٥٠٥هـ) ذكر الحلَّاج محتفيًا بكلامه في كتابه (إحياء علوم الدِّين)، فقسَّم التَّوحيد إلى مراتب وجعل آخرها المرتبة «الرَّابعة: ألاّ يرى في الوجود إلا واحدًا وهي مشاهدة الصِّديقين وتسميه الصوفيَّة الفناء في التَّوحيد لأنَّه من حيث لا يرى إلا واحدًا فلا يرى نفسه أيضًا»[١٣]، إلى أن يقول: «وإلى هذا أشار الحسين بن منصور الحلَّاج»[١٤]، أي: المرتبة الرَّابعة، ثم قال في التَّوحيد الرَّابع: «لا يجوز الخوض في بيانه»[١٥].

لقد كان دور الحلَّاج مهمًا في التصوُّف، وبقي فيهم من يجادل في الدِّفاع عنه[١٦]، وصار تأويل كلامه محلَّ اشتغال، وعند النَّقد لا تحاسب الأفكار على ما

---

٤ - الثقافة والإمبريالية، إدوارد سعيد، ص ١٢٢.

٥ - المصدر السابق، ص ١٢٢.

٦ - المصدر السابق، ص ٢٢٩، بتصرُّف يسير.

٧ - تفصيل تاريخه سيكون في كتاب مستقل إن شاء بعنوان (أصل الكلام).

٨- انظر: تاريخ الغيبة الصُّغرى، محمد الصَّدر، دار التَّعارف للمطبوعات، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، ٤٥٣/١.

٩- الحلاج؛ الأعمال الكاملة، قاسم محمد عباس، رياض الريس للكتب والنشر، ط ١، ٢٠٠٢م، ص ٣٣٤.

١٠ - أخبار الحلاج؛ من أندر الأصول المخطوطة في سيرة الحلاج، علي بن أنجب الساعي البغدادي، تحقيق: موفق فوزي الجبر، دار الطليعة الجديدة، ط ٢، ١٩٩٧م، ص ٩١.

١١ - المصدر السابق، ص ٨٢، ٨٣.

١٢ - الطَّواسين، ضمن: الحلاج؛ الأعمال الكاملة، ص ١٩٢، ١٩٣.

١٣ - إحياء علوم الدِّين، أبو حامد الغزالي، دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ص ١٦٠٤.

١٤ - المصدر السابق، ص ١٦٠٥.

١٥ - المصدر السابق، ص ١٦٠٥.

١٦ - لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق، عبد الوهاب الشعراني، اعتنى به: أحمد عزو عناية، دار التقوى، ط ١، ٢٠٠٤هـ، ص ٥٦٥، باختصار.

تمنعه فحسب، بل على ما تسمح به، فقد بقي تدوين الشَّطحات في كتب الصُّوفية متوارثًا[١٧]، وهي تدور حولَ تعظيم الأقطاب والأوتاد الذين اعتقد بهم المريدون، وهو ما أسس (إقطاعًا روحيًا) يدور حول الشَّيخ بما يظهر عدَّة نواحٍ دفع إليها التَّصوف أو لا يمنعها على الأقلّ، وهي تتقاطع مع عدة أهداف للإمبريالية، ومنها إشغال الشُّعوب وإلهاؤها عن نهب ثرواتها أو اضطهادها، فعند إحياء هذا التُّراث بينهم، فإنَّ أول ما يميِّزه الغنوصية التي تشوه العلاقة بين السَّبب والنَّتيجة، فغاية الرُّتب الفناء في التَّوحيد، وعدّ منتهاه سرًا لا يذاع، بألا يرى في الكثرة إلا واحدًا، وأنَّ هذا أقصى الدَّرجات، فماذا بقي لفهم العلاقات الدَّولية، والاستغلال الذي تقوم به الإمبريالية، والعلاقة بين الاقتصاد والسِّياسة فيما يُعرف بالعلم الاجتماع السِّياسي؟ وسبق أن تعرضت الكنيسة للنقد حيثُ إنَّ «الكاهن يعرف خطرًا واحدًا فقط: العلم، والمفهوم السليم للسَّبب والنَّتيجة»[١٨]، وهنا السَّبب في نظر المتصوِّف يحوم حول إثبات مؤثِّر غير الله أو إثبات الكثرة، فما ثَمَّ إلا الله كما صرَّح من يقول بوحدة الوجود، أو القول بأنَّه لا يُرى إلا الله عندَ من يقول بوحدة الشُّهود، ويصعب فصل مجمل تراث التَّصوف عن هاتين الفكرتين، إذ إنَّ كثيرًا مما تناثر وسبق على هذا من كلمات متقدمي الصوفيَّة كان قد دفع إليه، ودفع المتأخرين إلى التزامه.

وأسس هذا لتعطيل ملكات العقل عن إدراك قوانين العالَم إذ مالَ كثير من الصُّوفية إلى تعطيل التَّحسين والتَّقبيح عقلًا متابعةً لمقالة الأشعرية، والقول بأنَّ التَّحسين والتَّقبيح شرعيان فحسب، وفي هذا يقول الكلاباذي (٣٨٠هـ): «القبيح ما قبَّحه، والحسن ما حسَّنه»[١٩]، فما ثَم من سبب موضوعي في الأشياء نفسها يدعو لتقبيحها وتحسينها، إنما ذلك تابع للنَّص، وهذا مرتبط بتعطيل تأثير الأشياء وما لهذا من إضعاف مفهوم السَّببيَّة، وبهذا أسَّسوا لعقل ينفصل عن تحليل العلاقات بين المستغِل والمستغَل، أو إدراك عالم موضوعي خارج إطار التَّصوُف نفسه، فأيُّ شيء يخدم الثَّقافة الإمبريالية أفضل من القول بأنَّه ما ثَم إلا الواحد كمرتبة في التَّوحيد لا يعلى عليها!

"بقي تدوين الشَّطحات في كتب الصُّوفية متوارثًا وهي تدور حولَ تعظيم الأقطاب والأوتاد الذين اعتقد بهم المريدون، وهو ما أسس (إقطاعًا روحيًا) يدور حول الشَّيخ تتقاطع مع عدة أهداف للإمبريالية، ومنها إشغال الشُّعوب وإلهاؤها عن نهب ثرواتها أو اضطهادها، فعند إحياء هذا التُّراث بينهم، فإنَّ أول ما يميِّزه الغنوصية التي تشوه العلاقة بين السَّبب والنَّتيجة"

هذا الدَّوران في فلك الشَّيخ والطَّريقة يدفع إلى القولِ بأنَّ تلك الطُّرق إن قررت الدُّخول في مواجهة مع فئات مستغِلّة، فإنَّ أصحابه لو اتسقوا مع تلك الأفكار فلن يكونوا قد امتلكوا الأدوات اللازمة لممارسة نضال سياسيٍّ فعَّال، فالطَّريقة لا تقوم على هيئة مؤسسة حديثة، ولا على أفكار تؤسس لهذا، بل تدور في فلك العارف والشيخ الأوحد، صورة للإقطاعي الذي يعمل في أرضه مجموعة من العبيد في الواقع المادي في القرون الوسطى، لكنَّه منسحب في التَّصوف على هيئة ثقافة مكثَّفة، ويخفي هذه العلاقة الداخلية فناء الأتباع عن إبصارها وتعظيمهم للشَّيخ، بما عطَّل فيهم الحسَّ النَّقدي، وإن مارست تلك الطَّريقة عنفًا ثوريًا فغالبًا ما تخلط بين العنف السِّياسي والطَّائفي، وبهذا فإنَّ تلك النَّظرة تُصعِّب المهمة وتطيلها، وإن قدّر نجاحها في مدافعة محتلٍّ مثلًا، فإنَّها تحمل في بذورها ما يزرع ألغامًا لما بعد في شكل نظام الحُكم، وموقف المجتمع من العلم، وطرق النَّهضة الاقتصادية والصِّناعية، وقد ازدهرت المقالات الصُّوفية في عصرها الذَّهبي في ظرف العزوف عن الحياة السِّياسية في العصر العبَّاسي، وهو ما مكَّن لحكمهم الطَّويل، وبهذا ورَّثت دعم تلك الطرق في الأنظمة التالية، كالأتراك في زمن

---

١٧ - الفتح في تأويل ما صدر عن الكمَّل من الشَّطح، عبد الوهاب الشعراني، عن مخطوط أوقاف بغداد برقم ٧٠٧١، ومخطوط دار المخطوطات رقم ٢٣٤١، مطبوع مع كتاب أبو يزيد البسطامي، المجموعة الصوفية الكاملة، تحقيق وتقديم: قاسم محمد عباس، دار المدى، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ١٤٠.

١٨ - عدو المسيح، فريدريك نيتشه، ترجمة: جورج ميخائيل ديب، دار الحوار، ط ٢، ص ٤٢.

١٩ - التَّعرف لمذهب أهل التَّصوف، محمد بن إسحق الكلاباذي، ضبط نصَّه: أحمد شمس الدِّين، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ص ٥٥.

حكم آل عثمان، وهو نفسه المتوقَّع في المناطق التي ينتشر فيها التَّصوف أن تكون تلك التركة معاندة تنظيرية وسلوكية لإبصار علاقات الاستغلال وإبصار مواضع التأثير السِّياسي، في عهد الشَّركات الحديثة، وأساليب الإخضاع والدِّعاية العصريَّة.

على أنَّ المرء قد يحمل تناقضًا بين التَّنظير والسُّلوك، فقد تجد واحدًا يؤمن بأنَّ كلمة الرَّب تقول له: «لا تقاوموا الشَّر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحوِّل له الآخر أيضًا»[٢٠]، ولكنَّه عمليًا يستعمل سلاح دمار شامل إن وجد مصلحة له في ذلك، هذا التَّناقض موجود، لكنَّ صاحبه لا يكون قد انتزع الموقف من التَّنظير الذي يناقضه، بل من البراغماتية السِّياسية التي نشأ في أروقتها، وبهذا فإنَّ التراث الصُّوفي لا يتوقع منه أن يكونَ أرضية لممانعة الإمبريالية، بل على العكس من ذلك فإنَّه يضع بذورًا تهوِّش العلاقة تمامًا وتلهي المعتنقين-ما داموا مطَّردين معها-عن إبصار استغلالهم، نعم! قد تصنع مقاتلين يقدِمون على الموت بفناء راقص مولوي، لكنَّ هذا لا يصنع وعيًا سياسيًا ولا يؤسس لفكر حديث يفضح الإمبريالية، فضلًا عن قدرته على خلق كتلة سياسية ممانعة، ولهذا لم يكن غريبًا على روسيا أن تعتمد على الصُّوفية، حتى قال فيتالي ناؤمكن، المدير العلمي لمعهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم الروسية: «أضحى الصُّوفيُّون ركيزتنا» في تصريح مصوَّر، وكذلك يقال الأمر في غيرها، فقد ورد في تقرير لمؤسسة (راند) الأمريكية لسنة (٢٠٠٤) توصية بدعم الصُّوفية بما يخدم النُّفوذ الأمريكي، فجاء فيه:

«**ينبغي تشجيع النفوذ الصوفي على المناهج المدرسية، والأعراف، والحياة الثقافية بقوة في البلدان التي تمتلك تراثاً صوفياً، مثل أفغانستان أو العراق، ومن خـــلال نثِعرها وموسيقاها وفلسفتها**»[٢١].

٢٠ - العهد الجديد، متى، رقم: ٣٩.

٢١- بينـارد، شـيريل. (٢٠٠٣). الإسلام الديمقراطـي المدنـي: الشـركاء والمـوارد والاسـتراتيجيات. مؤسسـة رانـد (RAND Corporation)، سـانتا مونيـكا، كاليفورنيـا، ص ٤٦.

مقاصد الدراسات الاستشراقية لوحدة الوجود

د. طارق الحمّودي - المغرب

مدخل

كان الاستشراق من بين «أجنحة المكر الثلاثة» التي حاول العلامة عبد الرحمن حبنكة أن يكشف طبيعتها وأصولها، ولا يزال من أهم الأدوات التي يستعملها الغرب اليوم لإسقاط بناء الإسلام من نفوس المسلمين، ولتوجيه كل من يريد التعرف عليه بعيدا عنه كما يقع في فرنسا اليوم بسبب الخوف من التمدد الإسلامي الصحيح، ولذلك لوحظ حديثا كثافة في الدراسات والأعمال المرتبطة بفكر ابن عربي الحاتمي[1]، وكان مما ذكره حبنكة من أهداف الاستشراق عموما: «نبش الحضارات القديمة وإحياء معارفها، وبعث الطوائف الضالة والحركات الهدامة القديمة ... استدراج المسلمين للأخذ بالحضارة المادية الحديثة، وما فيها من مغريات للنفوس ومرضيات للأهواء، وآسرات للشهوات وباهرات للنظر ... ادعاء ان أحكام الشريعة الإسلامية لا تتلاءم مع التطور الحضاري»[2]، ولكي لا يكون هناك تمنع من المسلمين، فقد كان لابد من «التسرب والتسلل»، وليس أفضل من «إحياء علوم التصوف الفلسفي ودعمه».

الاستشراق الأمريكي والتصوف الفلسفي

بعد الاستشراق البريطاني والألماني والفرنسي والإسباني تولى الاستشراق الأمريكي زمام المبادرة لنقل هذه الأداة إلى وظائف جديدة على أسس قديمة، أما الأسس فالبحث عن فرق شاذة في الإسلام أو دخيلة عليه محسوبة منه، وتقديمها باعتباره الصورة الأفضل للإسلام وفق مواصفات مناسبة لمشروع الهيمنة الأمريكية على العالم، وأما الوظيفة الجديدة فمساندة الفكر الصوفي الفلسفي لأخذ الصدارة وتمثيل الإسلام، فوفرت الدولة الأمريكية كل إمكانياتها السياسية والفكرية والمالية لإنجاح هذا المشروع، وقد كنت سألت الدكتور بول هيك[3] حينما كان

١- Présence d'Ibn 'Arabî à Paris, Pierre Liguori, Horizons Maghré-bins - Le droit à la mémoire, Année 1999 , 41 pp: 57-60

٢- أجنحة المكر الثلاثة ص ١٢٨، عبد الرحمة حبنكة، دار القلم، ط ٨، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

٣- أستاذ علم اللاهوت والدراسات الدينية في جامعة جورج تاون بواشنطن.

أستاذا زائرا في كلية أصول الدين بتطوان عن الدراسات المتعلقة بابن عربي في أمريكا، فقال: كثيرة جدا! وقد استطاع د. صالح الغامدي أن يكشف عن حقائق مثيرة متعلقة بموقف مراكز البحوث الأمريكية الاستشراقية من الصوفية اليوم، وكان عنوان كتابه في غاية الطرافة، وهو: «عندما يكون العم سام ناسكا»!

إن الباحث فيما تنتجه هذه المراكز من دراسات وأبحاث، وما ينشره المستشرقون الأمريكيون خاصة من كتب ومقالات يجتمع عنده أن القوم أحسنوا الاطلاع على التراث الصوفي، ووقع اختيارهم على التصوف الفلسفي للتوظيف، ويتقرر للباحث أن مقاصدهم من ذلك خمسة، واحدة أصلية، والأربعة متفرعة، وهي نشر عقيدة وحدة الوجود، وهي الأم، ثم نشر فكرة وحدة الأديان، والإباحية وإسقاط التكاليف، والتأويلية الباطنية، وإسقاط النبوة ومزاحمتها.

وحدة الوجود

تنبني عقيدة وحدة الوجود على أن الله تعالى كان ولم يكن شيء، فأراد الله أن يظهر نفسه لنفسه، فانكشف بنوره في مرايا الإمكان وأضاء بحر العماء فظهرت صوره فيها، وانكشفت الثوابت القديمة، ويسمى كل هذا «التجلي الإلهي»، وهي عقيدة مناقضة للإسلام وأصوله، ولذلك صرحت آن ماري شيمل بأن نظرية وحدة الوجود بوجوهها المختلفة تناقض وصف الله تعالى بالعلو[٤] المقتضي اختلاف الذات الإلهية عن الكون المخلوق، وقالت: «هذا المذهب يتناقض تمام التناقض مع تعاليم الإسلام السني»[٥]، وهذا ما فقهه علماء أهل الحديث حينما دافعوا «الدعوة الجهمية»، فالمقصود إزالة عقيدة علو الله على خلقه من قلوب الناس وتعويضها بنظرية تطابق الخالق بالمخلوق، أي تطابق الله مع صورته، وكان هذا إنزالا لله تعالى من علوه لإدخاله في الكون المخلوق، فلا تبقى ألوهية ولا ربوبية، ولا يقدر الله حق قدره، بل نصير نحن صفات لله تعالى كما يصرح بذلك ابن عربي الحاتمي وغيره.

مقاصد دراسات المستشرقين خمسة:

١. نشر عقيدة وحدة الوجود.

٢. نشر فكرة وحدة الأديان.

٣. الإباحية وإسقاط التكاليف.

٤. التأويلية الباطنية.

٥. إسقاط النبوة ومزاحمتها.

وحدة الأديان

مما يتفرع عن اعتقاد وحدة الوجود اعتقاد وحدة الأديان، أي تساويها، وإسقاط دعوى تميز الإسلام عن غيره، فليس الإسلام على هذا هو دين الله الحق، بل كل الأديان هي الإسلام، وكلها صحيحة بما في ذلك الإلحاد والوثنيات، وقد كان المعول في نشر هذه العقيدة ما قرره ابن العربي الحاتمي كثيرا في كتبه، فهو عند المستشرقين محامي التسامح الديني أو مثالية التسامح الصوفي كما تقول آن ماري شيمل[٦]، وأن ابن عربي مسؤول عن إسقاط الحياة الدينية الحقة في الإسلام[٧]، ولأجل الترويج لهذا أنشئت مراكز ومؤسسات وعقدت ندوات ومؤتمرات، ولعل من أشهرها مؤتمر مدريد عام ٢٠٠٦م.

الإباحية وإسقاط التكاليف

ويتفرع عنها أيضا نشر الإباحية وإسقاط التكليف بتحرير المسلم من سلطة خطاب الوحي وفصله عن مرجعية القرآن والسنة النبوية، وقد تفطن مشروع تصويف المسلمين في مراكز البحث الاستشراقية الأمريكية على هذا، وعلموا أن إقناع المسلمين بعقيدة وحدة الوجود بتزيينها وتقديمها باعتبارها الإسلام العميق والمقصود الأعلى، سيؤول بالمعتقِد لا محالة إلى اعتقاد سقوط التكاليف، إذ بمجرد أن يعي المسلم بأنه صورة لله، فإنه سيندفع متخطيا حدود الشرائع التي لا يجد لها محلا في قلبه، لأنها ستصير في حكم المعدوم عنده، فهو والشريعة والأحكام كل ذلك تجليات لله تعالى وأفعاله،

٤- الأبعاد الصوفية في الإسلام، ص ٣٠٢، آن ماري شيمل، ترجمة محمد إسماعيل السيد ورضا حامد قطب، منشورات الجمل، ط ١، ٢٠٠٦م.

٥- المصدر نفسه، ص ٣٠٧.

٦- المصدر نفسه، ص ٣٠٥.

٧- المصدر نفسه، ص ٢٩٧.

فمهما فعل من المخالفات للشريعة فإنه لا يخرج عن كونه صورة لفعل الله، وقد كان أبو الحسن الأشعري نبّه على هذا قديما فقال: «وفي النساك من الصوفية من يقول بالحلول، وأن الباري يحل في الأشخاص، وأنه جائز أن يحل في إنسان وسبع وغير ذلك من الأشخاص، وأصل هذه المقالة إذا رأوا شيئا يستحسنونه قالوا: لا ندري لعل الله حال فيه، ومالوا إلى اطّراح الشرائع، وزعموا أن الإنسان ليس عليه فرض، ولا يلزمه عبادة، إذا وصل إلى معبوده»[٨]. سواء كان الحلول خاصا في مخلوق واحد، أو عاما في الكون كله، وهو وحدة الوجود.

أما صورة التوظيف فهي استهداف «الهوى» بالتقوية والإمداد، فقد قرر المستشرقون أن «الهوى» في نفوس المسلمين سر خطابهم «التصويفي»، ولذلك يرون أنه ميال بالطبع إلى «عقيدة وحدة الوجود» وتفرعاتها، خاصة الإباحية، والتي يسميها جيمس موريس: «الاستعداد الروحي»[٩].

التأويلية الباطنية

لعل من أهم تفرعات اعتقاد وحدة الوجود القول بوحدة الكلام، وأن كل كلام يصدر عن الإنسان فهو عين كلام الله تعالى، وعلى هذا تنبني النظرية التأويلية الباطنية عند أتباع التصوف الفلسفي وغيرهم، فالنص وفهمه والقارئ كل ذلك صور لكلام الله تعالى، ومهما كان التفسير والتأويل انطباعيا فإنه صحيح مطابق، لأنه عند التحقيق عين صورة فعل الله تعالى، فمهما تعددت التأويلات وظهر بعدها عن ظاهر اللفظ وخالف قواعد اللغة والعقل فهو تأويل مصدره الله تعالى، ولذلك وجدوا في ابن عربي خير مثال عملي على هذا، فـ «الدروس التي أراد ابن عربي إيصالها في مجال التواصل الروحي؛ أي ضرورة تكييف أشكال ولغة السبل الإلهية الموحى بها بما يتناسب مع التعدد والتنوع الحقيقيين للناس»[١٠]، فيمكنك أن تفسر الآية الواحدة من القرآن بما يوافق البوذية والنصرانية واليهودية بل والوثنية والإلحاد، بل بلغ الأمر بابن عربي بشهادة آن ماري شيميل إلى تحريف معنى «لا إله إلا الله»![١١]

يعتبر الدكتور البريطاني جيمس موريس واحدا من المتخصصين في فكر وحدة الوجود عند ابن عربي الحاتمي، والتي يسميها «التحقق»، ويتفرع عن هذا «التحقق» القول بـ «الترميز»، أي أن خطاب الوحي له مستويان، خطاب ظاهري، وخطاب رمزي باطني، وهو الذي نفذ إليه ابن عربي الحاتمي

في زعمه، ولذلك يقدمه باعتباره قارئا لخطاب «الرمز» في القرآن والحديث النبوي القراءة التي تحصل الحقائق الدائمة التجدد![١٢].

إسقاط النبوة

من المتفرعات الفكرية عن اعتقاد وحدة الوجود عند متصوفة الفلسفة مثل ابن عربي الحاتمي القول بالحقيقة المحمدية أو النور المحمدي أو الإنسان الكامل، ويقوم هذا الفرع - وهو جزء من عقيدة الوحدة - على أن النبي محمدا صلى الله عليه وسلم هو أول تجلٍّ لله تعالى في مرآة الإمكان بنوره، أي أنه الصورة الأولى الجامعة والكاملة، وعنه صدر النور الإلهي ليتجلى في عالم الإمكان عن طريق النبي صلى الله عليه وسلم «الحقيقة المحمدية» أو «الإنسان الكامل» الذي ظهر على صورة الله تعالى.

يعد الولي المتحقق بوحدة الوجود نفسه من تجليات الله تعالى، وإذا كان هو موضع تجلي الذات، فهو أيضا محل تجلي الكلمة، أي الوحي، ولذلك يعتقد المتصوف بعد اتحاده بالله تعالى اتحاد الصورة بأصلها، أو قل تذكُّره ذلك، أنه هو «الموحِي» و«الموحَى له» و«الموحى به»، وهو أيضا محل لتجلي النور المحمدي، فإن شرع لنفسه شرعا أو لغيره فكل ذلك عند التحقيق من النبي محمد صلى الله عليه وسلم، أو قل: من الله، فيصير هو نفسه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وكلما ترقى في حالة «التحقق» كان أقرب إلى «الإنسان الكامل»، ويسمي المستشرقون هذا كله «التجربة الصوفية»، التي تبدأ بتحقق وحدة الوجود وتنتهي بتجاوز الرسول ومزاحمته، وهذا ما تفطن إليه بعض المستشرقين الفرنسيين، فلا رسالة ولا نبوة ولا وحي[١٣].

خاتمة

هذه هي المقاصد الكبرى للمشروع الاستشراقي الأمريكي على وجه الخصوص، وبهذه المفاتيح يجب أن يقرأ المنتوج الاستشراقي الأنجلوسكسوني وما يليه، وينبغي أن يواجه بمراكز دراسات ومراصد تتابع وتنتقد وتصحح، والله المستعان على ما يصفون.

٨- مقالات الإسلاميين (٨١/١)، وينظر أيضا في (٢٨٧/١) و(٣٤٤/١) و(١٢٦/٢).

٩- ابن عربي في أفق ما بعد الحداثة، ص ٧٢، منشورات كلية الآداب والعلوم الإسلامية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات ١٠٧، تنسيق محمد المصباحي، ط ١، ٢٠٠٣م.

١٠- المصدر نفسه، ص ٦٣.

١١- الأبعاد الصوفية في الإسلام، ص ٣٠٣.

١٢- ابن عربي في أفق ما بعد الحداثة، ص ٦٨.

١٣- الأبعاد الصوفية في الإسلام، ص ٣٠٦.

التصوف والتوظيف في مراكز الأبحاث الغربية

د. محمد أبو سلمان الشامي - سوريا

شهدت العقود الأخيرة تصاعدًا لافتًا في الاهتمام الغربي بالتصوف الإسلامي، حتى تجاوز حضوره نطاق الدراسات الدينية والاستشراقية ليصبح حاضرًا في تقارير مراكز التفكير، والدراسات السياسية، والاجتماعية والثقافية. ولم يعد التصوف يُتناول بوصفه ظاهرة روحية وتراثًا دينيًا فحسب، بل غدا جزءًا من نقاشات الأمن والاستقرار السياسي وإعادة تشكيل الخطاب الإسلامي المعاصر.

أبرز المؤسسات الغربية المهتمة بالتصوف

تلعب مراكز الأبحاث الغربية دورًا محوريًا في صناعة القرار السياسي من خلال إعداد الدراسات الاستراتيجية وتقديم التوصيات للحكومات وصناع القرار، وبخصوص التصوف فمن أبرز هذه المراكز والمؤسسات:

مؤسسة راند (RAND Corporation)

عنيت راند بدراسة التصوف عبر مجموعة من الأبحاث، حيث نشرت عام ٢٠٠٤ دراسة بعنوان «الإسلام الديمقراطي: الشركاء والموارد والاستراتيجيات»، وجاء في التوصيات تعزيز التصوف ونشره شعبيًا وثقافيًا. بعد ذلك انتقلت مؤسسة راند إلى التوصية بتوظيف التصوف في مواجهة التيارات الإسلامية التي تدعو إلى الدين الصحيح من خلال التقرير الذي نشرته في عام ٢٠٠٧ تحت عنوان «بناء شبكات إسلامية معتدلة» حيث عرض الصوفية بشكل موسع باعتبارها أحد الركائز الأساسية لبناء شبكات إسلامية معتدلة بينما قامت بشيطنة التيارات الإسلامية الأخرى ووصفتها بالأصولية.

معهد بروكنغز (Brookings Institution)

الذي نشر تقريرًا في عام ٢٠٢٢ تحت عنوان «التسويق الإيجابي والقوة الناعمة: الترويج للتصوف في الحرب على الإرهاب»، وقد ركز التقرير على اعتبار التصوف أداة للقوة الناعمة، حيث يُنظر إليه كبديل معتدل وسلمي في مواجهة التيارات الإسلامية التي ساهمت في الصحوة الإسلامية ونشر الدين الصحيح.

البرلمان البريطاني

ومن المبادرات التي رأت في التصوف الجهة المناسبة للتعامل معها وتشجيعها كنمط إسلامي مناسب للغرب في مواجهة التيارات الإسلامية التي ساهمت في صحوة الأمة في القرن المنصرم ما جرى مناقشته في البرلمان البريطاني بتاريخ ١٢ أكتوبر ٢٠٠٦ حول المجموعات الإسلامية، حيث أجرى مسؤولون من وزارة المجتمعات والحكم المحلي مناقشات مع ممثلين عن هيئة إدارة الكوارث، ومجلس الأمن، لتنفيذ توصيات مختلفة لمنع بعض التيارات الإسلامية بدعوى التطرف، كما أن وزير الخارجية البريطاني كان قد حضر حفل إطلاق المجلس الصوفي الإسلامي[1]، لتتطور هذه العلاقة في العام ٢٠٠٩ إلى دعم مالي تم مناقشته وإقراره في البرلمان البريطاني، إذ تم تمويل المجلس الصوفي الإسلامي بمبلغ ٣٩٢,٥٠٠ ألف جنيه إسترليني من ملكة بريطانيا[2].

مقاربات الدراسات الغربية حول التصوف

تتسم الدراسات الغربية المعاصرة حول التصوف بطابع وظيفي سياسي يتجاوز الاهتمام الأكاديمي، وتتوزع مقارباتها على أربعة محاور متشابكة:

أولاً: التصوف كبديل ديني معتدل ،

وهو التصور الذي تبنّاه معهد بروكنغز في دراسات عدة، أبرزها دراسة الباحثة أليكس فيليبون «التسويق الإيجابي والقوة الناعمة» حيث عدت التصوف بديلاً لطيفًا ومعتدلاً

١- https://shortlink.uk/qFAj١

٢- https://shortlink.uk/hM4w1

في مقابل التيارات الإسلامية التي تدعو للدين الصحيح، وقد سبق ذلك تقرير مؤسسة راند الشهير «بناء شبكات مسلمة معتدلة»، الذي أوصى صراحةً بدعم الصوفية باعتبارها حليفًا طبيعيًا للغرب، وشيطنة التيارات الأخرى.

ثانياً: التصوف ومواجهة الحركات الإسلامية

وهو المحور الذي تناوله تقرير راند «الإسلام الديمقراطي المدني» للباحثة شيريل بينارد، التي صنفت الصوفية ضمن التقليديين القابلين للتحالف مع الحداثيين لمواجهة التيارات الأخرى التي يرمزون لها بالأصولية.

ثالثاً: التصوف والتسامح الديني

حيث أبرز معهد الولايات المتحدة للسلام (USIP) ومركز نيكسون (Nixon Center) في دراسة زينو باران «فهم التصوف ودوره المحتمل في السياسة الأمريكية» التي نشرت عام ٢٠٠٤ وركزت على استكشاف التصوف الإسلامي كقوة روحية واجتماعية قادرة على مواجهة الفكر الوهابي، كما تناول المشاركون تاريخ الطرق الصوفية، وتحديدًا النقشبندية، ويقترح الخبراء ضرورة دعم الولايات المتحدة للمؤسسات التعليمية التقليدية وترميم الأضرحة لتعزيز قيم الاعتدال والتعايش.

رابعاً: التصوف والاستقرار السياسي

وهو ما تتبعته دراسات معهد بروكنغز حول المغرب، لا سيما مقال سارة العلوي بعنوان «أمير المؤمنين (الأفارقة)؟»، الذي رصد توظيف الطريقتين القادرية والتيجانية في الدبلوماسية الدينية المغربية تجاه غرب أفريقيا، حيث عدت الدراسة التصوف ركيزة أساسية في الهوية الدينية للمغرب.

التوظيف السياسي العملي للتصوف من قبل الحكومات الغربية

لم يعد التصوف، في الحسابات الغربية المعاصرة، شأنًا روحيًا صرفًا، بل تحوّل خلال العقدين الماضيين إلى أداة سياسية فاعلة تُوظَّف ضمن منظومة أوسع من السياسات الأمنية والدبلوماسية والإدماجية، وذلك عبر عدة محاور رئيسة:

أولاً: التوظيف المؤسسي عبر إنشاء كيانات صوفية موازية للهيئات الإسلامية القائمة

وأبرز نموذج لذلك التجربة البريطانية حين أشرفت حكومة توني بلير على إطلاق المجلس الصوفي الإسلامي[٣] عام ٢٠٠٦، ليكون موازيًا لمجلس مسلمي بريطانيا، وهو ما رصدته دراسات معهد بيو للأبحاث ومعهد هدسون[٤].

ثانياً: التوظيف الاستشاري عبر استقطاب شخصيات صوفية للدوائر الاستشارية الرسمية

ويُعدّ الشيخ هشام قباني، رئيس المجلس الإسلامي الأعلى لأمريكا وممثل الطريقة النقشبندية الحقانية، النموذج الأبرز؛ إذ ألقى عام ١٩٩٩ خطابًا مثيرًا للجدل في وزارة الخارجية الأمريكية، والتقى الرئيسَين كلينتون وبوش الابن، وقدّمت منظمته نفسها جهةً استشارية دائمة في ملفات الإسلام ومكافحة الإرهاب[٥].

ثالثاً: التوظيف الرمزي والثقافي عبر تمويل ترميم المواقع الصوفية بأدوات الدبلوماسية الثقافية

وتُمثّل التجربة الأمريكية في باكستان نموذجًا متكاملاً؛ إذ اعتمدت وزارة الخارجية الأمريكية برنامج صندوق السفراء للحفاظ على التراث الثقافي لدعم خمسة وثلاثين مشروعًا بتمويل يتجاوز ثمانية ملايين دولار منذ ٢٠٠١، شملت أضرحة صوفية بارزة كمزارات شاه شمس تبريز ومحمد حياة وخواجة غلام فريد وموسى باك شهيد[٦].

رابعاً: التوظيف الإدماجي عبر احتضان تيارات صوفية ضمن مشاريع الإسلام الأوروبي

ففي ألمانيا، انفتح مؤتمر الإسلام الألماني عام ٢٠٠٦ على النقشبندية والسليمانية ذات الأصول التركية باعتبارها قنوات إدماج غير إشكالية. وفي فرنسا، انعكس ذلك في المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية الذي يضم فيدراليات مغربية وجزائرية ذات موروث صوفي مالكي- أشعري- جنيدي[٧].

٣- https://en.wikipedia.org/wiki/Muslim_Sufi_Council

٤- https://www.hudson.org/rights-human-muslim-about-what-mod--erates

٥- https://en.wikipedia.org/wiki/Hisham_Kabbani

٦- https://pk.usembassy.gov/u-s-funded-cultural-heri--tage-projects-in-pakistan/

٧- https://ctc.westpoint.edu/countering-islamist-radicaliza--

بسبب خوف الغرب من منافسة الإسلام له يدعم التصوف المنحرف

تتعدد مخاوف الغرب من الإسلام وتتشعب لتشمل جوانب الحضارة كافة، فهي ليست مخاوف أمنية ضيقة كما يُروَّج إعلاميًا، بل تمتد إلى أبعاد سياسية وحضارية واقتصادية ومعرفية ورمزية متشابكة. وتنبع هذه المخاوف من إدراك غربي بأن الإسلام يطرح مرجعية حية ومشروعًا حضاريًا متكاملاً يتجاوز كونه دينًا فرديًا، وهو ما يجعله منافسًا مزعجًا لا يقبل بالذوبان في النموذج الكوني الذي تقدمه الحداثة الغربية. ولأن الإسلام يمتلك قدرة على إنتاج مشاريع سياسية جماهيرية ومقاومة للعلمنة الثقافية وتقديم بدائل أخلاقية واقتصادية متماسكة.

فالإسلام يطرح هوية وحدوية، كما أنه يرفض القطيعة بين الدين والدولة، ويُثبت تاريخيًا قدرته المتكررة على الانبعاث من جديد.

كما أن الإسلام يكسر فرضية أن الحداثة الغربية هي المسار الكوني الوحيد، ويقدم نموذجًا حضاريًا منافسًا يصعب احتواؤه أو تذويبه. ويُضاف إلى ذلك القلق الديموغرافي من تنامي المسلمين في بلادهم وفي أوروبا، ومقاومتهم لموجات العلمنة الثقافية التي تراجعت أمامها الكنيسة المسيحية، أما الصوفية فقد قبلت هذا الذوبان من خلال المؤتمرات والهيئات التي أنشئت بالشراكة مع الغرب.

وأيضا تطرح المرجعية الإسلامية منطقًا اقتصاديًا مغايرًا عبر تحريم الربا ونظام الزكاة والصدقات والوقف، وهو ما يُعدّ تهديدًا مباشرًا للمصالح الغربية، أما الصوفية فقد وفرت فتوى تناسب المطالب الغربية من خلال إباحة الربا والكثير من المعاملات المالية المحرمة.

وتستحضر الذاكرة الغربية الحروب الصليبية وسقوط الأندلس وفتح القسطنطينية وحصار فيينا، فالإسلام هو الوحيد الذي هزم أوروبا حضاريًا لقرون. ويُضاف إلى ذلك أن التاريخ الحضاري الإسلامي يُفسد سردية أن الحضارة خط مستقيم من أثينا إلى واشنطن.

لذلك؛ فقد سعى الغرب إلى دعم التصوف المنحرف كبديل يُفرّغ به البعد الحضاري الإسلامي الجامع، عبر الترويج لإسلام فردي روحاني مُدجَّن ينحصر في علاقة العبد بربه دون امتداد اجتماعي أو سياسي، ودعم تيارات صوفية بعينها تُقدَّم كنماذج للإسلام المعتدل المنسجم مع منظومة القيم الليبرالية!

/germany-in-tion

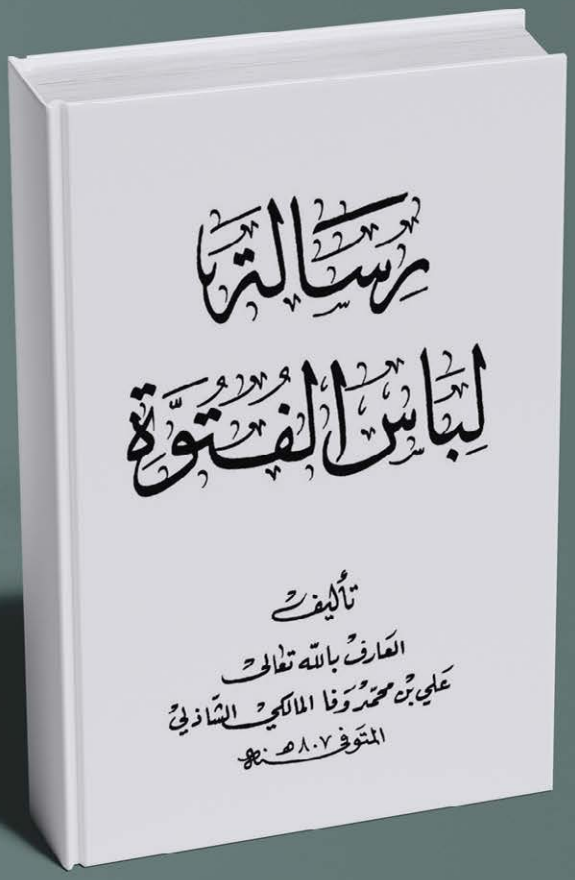

«لباس الفتوة»: بين نصرة المظلوم وتوظيف السلطة

"لباس الفتوة... يستر العورة ويؤمن الروعة"، عبارة قصيرة لكنها تصلح مفتاحًا لفهم النص كله؛ فاللباس هنا ليس قماشًا ولا زيًا طقوسيًا فحسب، بل معنى أخلاقي: أن تكون الفتوة ساترة للخلل، مطمئنة للخائف، حامية للضعيف. الفتوة ليست «لوك روحاني» ولا شارة اجتماعية يتفاخر بها صاحبها.

د. دعاء أحمد - مصر

ليست رسالة **(لباس الفتوة)** لعلي بن محمد بن محمد بن وفا، أبي الحسن القرشي الأنصاري الشاذلي المالكي، مجرد نص صوفي قديم في آداب المريدين أو رمزية الثياب؛ بل هي وثيقة كاشفة عن معنى عميق كان حاضرًا في بعض أدبيات التصوف القديم: معنى الفتوة بوصفها سترًا، ونجدة، وأدبًا مع الخلق، وانحيازًا للمظلوم لا تشهيرًا به. وقد أُدرجت الرسالة خامسة ضمن مجموعة (رسائل صوفية مخطوطة)[1]، والمنسوبة في الفهرس إلى ابن وفا الشاذلي.

تبدأ الرسالة من عبارة دالة: «لباس الفتوة ... يستر العورة ويؤمن الروعة»، وهي عبارة قصيرة لكنها تصلح مفتاحًا لفهم النص كله؛ فاللباس هنا ليس قماشًا ولا زيًا طقوسيًا فحسب، بل معنى أخلاقي: أن تكون الفتوة ساترة للخلل، مطمئنة للخائف، حامية للضعيف. بتعبير مباشر: الفتوة ليست «لوك روحاني» ولا شارة اجتماعية يتفاخر بها صاحبها، بل وظيفة أخلاقية تجاه الناس.

وفي ترجمة ابن وفا الواردة قبل الرسالة تظهر جملة شديدة الأهمية في سياق هذا الباب: «لا تعب أخاك، ولا تعيره بمصيبة دنيوية؛ لأنه إما مظلوم وسينصره الله، أو مذنب عوقب فطهره الله، أو مبتلى فوقع أجره على الله»، هذه العبارة وحدها تكشف وجهًا نقيًا من الوجوه التي انتسبت إلى خطاب الفتوة: عدم التشفي، وعدم كسر الضعيف، وعدم جلد صاحب المصيبة. فالمظلوم في هذا التصور ليس مادة للشماتة، بل صاحب حق ينتظر نصر الله.

وتتكرر في الرسالة ومحيطها إشارات أخلاقية عملية؛

١- «رسائل صوفية مخطوطة» جمعها وحققها سعيد عبد الفتاح، ونشرته دار الكتب العلمية.

منها الدعوة إلى الكلام بخير أو الصمت، والتنبيه على أن النوم الذي يعين على الطاعة خير من سهر يورث الكبر والدعوى، وأن العادة قد تفسد العبادة إذا صارت النفس هي المقصودة بها. وهذه المعاني تمثل جانبًا مهمًا من التصوف الأخلاقي القديم: محاسبة النفس، تهذيب السلوك، وكسر الغرور الديني الذي يجعل صاحبه يعبد صورته لا ربه.

غير أن قراءة الوثيقة بإنصاف تقتضي ألا نأخذ منها الجانب المضيء وحده. فالرسالة تتحرك أيضًا داخل عالم رمزي كثيف: القطب، السر، التجلي، الأسماء، المقامات، والاصطفاء الخاص. وفي بعض عباراتها ترتفع منزلة «القائم بالله» إلى درجة خطرة في الوعي العملي؛ إذ يَرِد في النص أن من جادله فكأنما جادل الله، ومن نازعه فكأنما نازع الله. وهذه العبارة، مهما حُمِلت على مقام رمزي أو ذوقي، تفتح بابًا شديد الحساسية: باب تحويل الشيخ أو الولي أو المؤسسة الروحية إلى سلطة فوق النقد.

وهنا تظهر المفارقة الكبرى: التصوف القديم كان يحمل في بعض نصوصه معنى نصرة المظلوم، لكنه كان يحمل في بعض بنيته أيضًا بذرة قابلية للتحول إلى هرم مغلق؛ شيخ فوق السؤال، ومريد تحت التسليم، وخطاب غامض لا يستطيع العامة مناقشته. فإذا بقيت الفتوة أخلاقًا كانت نجدة، وإذا تحولت إلى امتياز روحي مغلق صارت أداة ضبط وسيطرة. وهذه ليست مشكلة صوفية خالصة؛ بل مشكلة كل خطاب ديني يرفع الأشخاص أو المؤسسات فوق المحاسبة.

ومن المهم أيضًا أن نلاحظ أن مفهوم الفتوة واللباس الصوفي لم يكن محل اتفاق داخل التراث الإسلامي نفسه. فقد ناقش ابن تيمية مثلًا ما عُرف بسراويل الفتوة وطقوسها[٢]، وقرر أن مكارم الأخلاق مطلوبة أيًا كان اسمها، أما إحداث رسوم وطقوس تُنسب إلى السلف بغير أصل فذلك مردود. وهذه الملاحظة نافعة لأنها تذكرنا بأن نقد بعض ممارسات التصوف ليس وافدًا حديثًا، بل له جذور مبكرة داخل النقاش الإسلامي نفسه.

من زاوية الفتوة إلى منصات «الإسلام المعتدل»

في أحسن صوره، كان التصوف القديم أو لنقل: التصوف الأخلاقي الشعبي قريبًا من هموم الناس: إطعام، إيواء، صلح، ستر، شفاعة للمظلوم، وتهذيب للنفوس. ولم تكن الزاوية في صورتها الاجتماعية الأولى مجرد مكان للذكر، بل مأوى رمزيًا وماديًا لمن ضاقت بهم الحياة. ومن هنا نفهم لماذا كان خطاب الفتوة مرتبطًا بالستر والأمان: لأن الدين في وجدان الناس لا يُقاس بكثرة المصطلحات، بل بقدرته على منع الظلم ورفع الخوف.

أما في العصر الحديث، فقد ظهر نمط مختلف تمامًا يمكن تسميته «التصوف الرسمي أو التصوف الدبلوماسي»، تصوف المؤتمرات، ومراكز «تصحيح صورة الإسلام»، ومبادرات «السلام العالمي»، والشراكات العابرة للدول. المشكلة هنا ليست في الدعوة إلى السلام، ولا في الحوار مع غير المسلمين؛ فهذه أبواب لها أصولها وضوابطها. المشكلة تبدأ حين تتحول هذه العناوين إلى أداة لإعادة تعريف الإسلام سياسيًا، وإنتاج نسخة مريحة للسلطات والمنظمات الدولية، نسخة تُحسن الكلام عن التسامح، لكنها تصمت حين يُظلم المسلمون، أو تهاجم أهل السنة تحت لافتة مكافحة التطرف.

بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، لم يعد الحديث عن «الإسلام المعتدل» مجرد نقاش فكري، بل صار جزءًا من هندسة سياسية دولية. ففي تقارير مؤسسة RAND مثلًا وردت توصيات صريحة بتشجيع قبول التصوف وشعبيته، وبناء شبكات من المسلمين «المعتدلين» وربط ذلك بإستراتيجيات وسياسات أمريكية أوسع. وهذا لا يعني أن كل صوفي عميل أو كل مبادرة حوار مؤامرة؛ لكنه يثبت أن التصوف استُحضر في بعض مراكز التفكير الغربية بوصفه أداة قابلة للتوظيف السياسي في مواجهة تيارات إسلامية أخرى[٣].

منتدى تعزيز السلم: حين يصبح السلام غطاءً للسياسة

من أبرز الأمثلة المعاصرة منتدى تعزيز السلم المرتبط بأبوظبي، والشيخ عبد الله بن بيه. فالمنتدى يُعرّف نفسه بوصفه منصة تجمع علماء وقادة دينيين

٢- مجموع الفتاوى ٨٢/١١.

٣- https://www.rand.org/content/dam/rand/pubs/monograph_reports/MR١٧١٦/MR١٧١٦.٢٠٠٥.pdf

وأكاديميين ودبلوماسيين لتعزيز التسامح والسلام، كما تذكر جهات رسمية ودولية أن بن بيه مؤسس أو رئيس لهذا المسار ووجه بارز فيه.[٤]

لكن موضع الإشكال ليس في عنوان «السلم»؛ فالسلم مقصد شرعي إذا كان عدلًا لا استسلامًا. الإشكال أن هذا الخطاب بدا في لحظات حاسمة أقرب إلى إسناد ديني للسياسات الرسمية. ففي سياق اتفاق التطبيع الإماراتي الإسرائيلي سنة ٢٠٢٠، نُقل عن مجلس الإمارات للإفتاء، برئاسة بن بيه، ما يفيد مباركة السياسة الإماراتية واعتبارها من باب المصلحة العليا. وقد أثار ذلك انتقادات واسعة، حتى إن بعض الشخصيات المرتبطة بحوارات السلام أعلنت انسحابها أو اعتراضها بحسب تقارير إعلامية.[٥]

وهنا يبرز السؤال الجوهري: هل وظيفة العالم أو الشيخ أن يضبط السلطة بالحق، أم أن يمنحها لغة دينية ناعمة حين تحتاج إلى تمرير قرار سياسي كبير؟ الفتوة في رسالة ابن وفا «تؤمن الروعة»؛ أما الفتوى التي تبرر التطبيع مع كيان محتل بينما جراح المسلمين مفتوحة، فهي لا تؤمّن روعة المظلوم، بل تؤمّن روعة السلطة.

أمريكا: من الزوايا إلى منصات الأمن ومكافحة التطرف

في الولايات المتحدة يظهر مثال آخر لمفهوم الفتوة من خلال بعض المؤسسات الصوفية، مثل Islamic Council of America Supreme المرتبط بالشيخ هشام قباني، رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في أمريكا، وهو شخصية صوفية نقشبندية وللمجلس حضورًا في خطاب «الإسلام المعتدل» والحوار بين الأديان.[٦]

الإشكال الأبرز وقع في أواخر التسعينيات حين شارك قباني في منتدى بوزارة الخارجية الأمريكية وقال فيه: «إن التطرف انتشر في نسبة ضخمة من مسلمي أمريكا أو قياداتهم»، وهي تصريحات أثارت عاصفة من الاعتراضات؛ حتى إن بعض المنتقدين رأى أنها تعطي ذخيرة لمن يريد تصوير المسلمين كتلة واحدة مشبوهة.[٧]

هذا المثال يوضح خطورة أن ينتقل بعض رموز التصوف المؤسسي من دور إصلاح النفس إلى دور «الشاهد الخبير» ضد عموم المسلمين أمام مؤسسات سياسية وأمنية. مرة أخرى: ليست المشكلة في نقد التطرف، فالتطرف يُنقد شرعًا وعقلًا، لكن المشكلة في توسيع دائرة الاتهام حتى تشمل المجتمعات السنية المحافظة، ثم تقديم ذلك على منصات دولية بوصفه خدمة للإسلام.

الهند: توظيف «الصوفي الطيب» في مقابل «المسلم المزعج»

في الهند، عُقد مؤتمر World Sufi Forum سنة ٢٠١٦ بتنظيم من All India Ulama and Mashaikh Board، وحضره رئيس الوزراء ناريندرا مودي، وشارك فيه وفود وشخصيات من دول متعددة. الخطاب الرسمي قدّم المنتدى بوصفه منصة لنشر السلام والتسامح، وتقديم التصوف كوجه مضاد للعنف والتطرف.[٨]

لكن السياق الهندي لا يسمح بقراءة بريئة تمامًا. فحين تكون الأقلية المسلمة تحت ضغوط سياسية واجتماعية متزايدة، يصبح الاحتفاء الرسمي بـ«الإسلام الصوفي المسالم» قابلًا للتحول إلى أداة فرز: هذا مسلم مقبول لأنه صوفي هادئ، وذاك مسلم مشكوك فيه لأنه سني محافظ أو معترض سياسيًا. بهذا المعنى، لا يعود التصوف مجرد تراث روحي، بل يتحول إلى بطاقة اعتماد تمنحها السلطة لمن يقبل بشروطها.

المقارنة الحاسمة

الفرق بين الصوفية قديمًا وحديثًا - في هذا الباب تحديدًا - ليس فرقًا زمنيًا فقط، بل فرق وظيفة.

قديمًا، حين كانت الفتوة معنى أخلاقيًا، كان صاحبها يُسأل: هل سترت عورة أخيك؟ هل أمنت خوفه؟ هل نصرت مظلومًا؟ هل منعت شماتة الناس به؟ أما اليوم،

---

٤ https://www.rfp.org/leadership_member/shaykh-abdallah-bin-bayyah-3/

٥ https://www.bakerinstitute.org/research/islamist-responses-ar-ab-normalization-agreements-israel

٦ https://www.meforum.org/middle-east-quarterly/muhammad-hish-am-kabbani-the-muslim-experience-in

٧ https://www.islamicity.org/668/u-s-sufi-leader-once-again-at-the-center-of-controversy/

٨ https://www.icwa.in/index.php

في بعض نماذج التصوف الرسمي، صار السؤال مختلفًا: هل حضرت المؤتمر؟ هل وقعت إعلان السلام؟ هل أدنت «التطرف» بالصيغة التي ترضي الممول؟ هل تحدثت عن التسامح بما يكفي، وسكتّ عن الاحتلال بما يكفي؟ قديمًا، كان الخطر أن يغلو المريد في شيخه. اليوم، صار الخطر أن تتحول المؤسسة الروحية كلها إلى ذراع ناعم في يد الدولة أو مراكز النفوذ الدولي. قديماً كان الخلل في «شيخ فوق النقد». اليوم قد يصبح الخلل في «منتدى فوق النقد»، و«مجلس إفتاء فوق السؤال»، و«مركز حوار» يمنح شهادات الاعتدال لمن يوافق، وشهادات التشدد لمن يعترض.

قديمًا، كان «لباس الفتوة» يستر العورة ويؤمن الروعة. أما اليوم، فبعض عباءات السلام الرسمي تستر عورة السياسة لا عورة المظلوم، وتؤمن روعة السلطة لا روعة الأمة. وهنا بيت القصيد.

نبذة عن المؤلف:

هو علي بن محمد بن محمد بن وفا، أبو الحسن القرشي الأنصاري الشاذلي المالكي، المعروف بابن وفا، من أعلام التصوف الشاذلي في مصر في القرن الثامن الهجري، وُلد في بيئة صوفية علمية، إذ كان أبوه محمد بن وفا من كبار المتصوفة والشعراء، وقد عُرف علي بن وفا بالوعظ والإرشاد والتأليف في المعاني الصوفية، مع انتسابه إلى المذهب المالكي واشتغاله بالأدب والشعر والموشحات، وتوفي سنة ٨٠٧هـ. ومن آثاره المنسوبة إليه: رسالة لباس الفتوة، والوصايا، والباعث على الخلاص، والعروش، والمسامع الربانية، ومفاتيح الخزائن العلية، والكوثر المترع من الأبحر الأربع، وله كذلك ديوان شعر وموشحات ذات طابع صوفي.

هل راهن الغرب على التصوف؟

قراءة في كتاب

«التصوف بين التمكين والمواجهة»

فاطمة عبد الرؤوف – مصر

في هذا الكتاب «التصوف بين التمكين والمواجهة» يرصد الشيخ محمد بن عبد الله المقدي واقع التوجهات الصوفية الحديثة كما هي على أرض الواقع في ضوء المستجدات العالمية التي تسارعت بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، والتي وجدت في التيار الصوفي ورقة رابحة لا للسيطرة على المجتمعات المسلمة فحسب ولكن للسيطرة على الإسلام نفسه، الذي تم وصفه تارة بالإسلام الكلاسيكي، وهو مصطلح يروج للتصوف على أنه الدين التلقائي للمسلمين على مدار قرون، وتم وصفه تارة أخرى بأنه إسلام «لايت» يركز على سلام الإنسان النفسي وعلى الخلاص الفردي له.

خلال ٦٠ صفحة من الكتاب الذي يبلغ عدد صفحاته ١١٢ صفحة يكشف المقدي عن الدور المرسوم للطرق الصوفية فيما يعرف باسم مشروع الشرق الأوسط الكبير وفي الاستراتيجية الأمريكية الموجهة للعالم الإسلامي كله.

يخصص المقدي فصلا خاصا بالتوصيات والتقارير التي تسعى لتمكين الصوفية من السيطرة الفكرية والثقافية والروحية للعالم الإسلامي بحيث يصبح مستقبل العالم الإسلامي رهنا للطرقية (الإسلام الذي يريده الغربيون).

يعرض الكتاب للخطابات السياسية الغربية والمؤتمرات العالمية التي ناقشت هذه الفكرة ويولي أهمية كبرى لتقرير مؤسسة «راند» البحثية الصادر في العام ٢٠٠٢م الذي أفرد الكتاب فقرات مطولة منه وكان من ضمن توصياته: تأييد الاتجاه الصوفي ونشره والدعوة إليه.

كما قام الكتاب باستعراض مؤتمر فهم الصوفية والدّور الذي ستلعبه في رسم السِياسة الأمريكية الذي عقد في العام ٢٠٠٣ عبر ثلاث جلسات، كانت الجلسة الثالثة منها سرية.. وكان من ضمن توصيات هذا المؤتمر تمويل إعادة بناء الأضرحة، وإعادة الهيبة لها، وتذكير الناس بها، وإعادة بناء الهوية الصوفية بدعم الطرق التقليدية الأكثر انتشارا، ونشر أعمال الصوفيين المحليين وترجمتها للغة الإنجليزية المنتشرة بين شباب العالم الإسلامي.

وكان من توصيات هذا المؤتمر أيضا دمج القيم الصوفية بقيم المجتمع المدني في مقررات التعليم الوطني، وإحياء الثقافة الصوفية خاصة زيارة المقامات.

في هذا الفصل الخاص بالتوصيات والتقارير الذي يعد من أهم فصول الكتاب أفرد المقدي مساحة واسعة لشخصية محمد هشام قباني وعدّه أنموذجا للتوجه الصوفي الحديث والجسر الذي يمكن من خلاله تنفيذ هذه التوصيات داخل المجتمعات المسلمة وعبر الجاليات المسلمة الكبيرة في العالم الغربي.. قباني الذي لعب دورا في التحريض على أهل السنة هو أيضا من يلعب دورا خطيرا في نفي شرعية الجهاد ضد الكيان الصهيوني.

في فصل «خطوات متتابعة» الذي لا يقل أهمية عن فصل «توصيات وتقارير» يرصد الشيخ المقدي تتابع الخطوات التطبيقية للتوصيات السابقة حيث تم دعم الحركة الصوفية ذات الأذرع العالمية بمحطات إذاعية وبرامج تليفزيونية ودورات تعليمية وورش سياسية للترويج للإسلام الصوفي ودفع الحكومات لتشجيع الحركة الصوفية، بالإضافة طبعا لترميم الأضرحة والعناية بالمخطوطات والتراث الصوفي.. حتى أن السفير الأمريكي في مصر حضر مولد البدوي وأخذ العهد من أحد شيوخ الصوفية.

يعد الفصل المعنون بـ «النشاط الصوفي بعد أحداث ١١ سبتمبر» الوجه الثاني لفصل «خطوات متتابعة» حيث يرصد الأنشطة والحراك الذي قام به المتصوفة أنفسهم بعد هذا الدعم الدولي، فتوالت المؤتمرات الصوفية في العالم الإسلامي في القاهرة وجدة والرباط وعمان والفاتح في ليبيا والجزائر حتى في القدس عقدت أكاديمية القاسمي مع الجامعة العبرية مؤتمرًا بعنوان «التصوف في فلسطين بين الماضي والحاضر».

يحلل الشيخ المقدي بعمق هذا النشاط الصوفي بعد أحداث ١١ سبتمبر ولا يكتفي برصده، يقول: «إنَّ المتأمل للنشاط الصُّوفي المعاصر يجد نفسه أمام تيارٍ جديد صوفي المشرب متحضِّر الأدوات واسع النَّظرة يتعامل مع الواقع السِّياسي ويتبنَّى العمل التربوي المنظَّم من افتتاح حلقات تحفيظ القرآن واللقاءات المنظمة واستخدام الدعوة الفردية إلى تهيئة رحلات ودروس خاصة للمريد مع لقاءات تُتلى فيها البُردة في حلقات فلكلوريَّة يردَّد فيها لفظ الجلالة إلى حد الفناء والجذب إلى تنظيم الأنشطة الرياضيَّة التي لا يشارك فيها إلا مريدوهم، بل وجلب الدعاة من الصُّوفية كي يتبنوا الدَّعوة المنظَّمة ومتابعة المريدين والتأكيد على الأنشطة المصاحبة، وقد وصل خطرهم إلى الأوساط النسائيَّة، فهم يتحركون على شكل مجموعاتٍ تدعو لما تعتقده في أسلوبٍ مبرمج».

في الفصل المعنون بـ «ما المشكلة؟» الذي صاغه الشيخ المقدي على هيئة سؤال: (ما هي المظاهر والسِّمات التي برز بها التصَّوف المعاصر؟ وهل اختلف عن التصوف السَّابق في كلّ شيء أم هو تغيُّر في الخطاب مع ثباتٍ على الأصول العقائديَّة؟) نجد حديثا واسعا عن نشر القبورية والخرافة وبث العقائد الضالة والعداء السافر لأهل السنة.

الكتاب يمثل إضافة للمكتبة العربية، خاصة في الجزء الأول الخاص بالرصد والتحليل للتمكين للإسلام الصوفي ولو أن الرصد توقف عند العام ٢٠٠٧م، حيث صدرت طبعته الأولى سنة ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م ولذلك فإن إضافة ملحق للكتاب لرصد وتحليل ما تلا ذلك من أحداث أو وضعه في مقدمة طبعة جديدة سيثري الكتاب ولا شك.

كما أن الكتاب خلا من وضع آليات محددة لمواجهة هذا التمكين المفروض، فضلا عن أنه كان بحاجة لتنظيم الفصول بشكل أكثر دقة ووضع قائمة للمراجع في نهايته.

التصوف السوداني:
التاريخ والواقع والموقف من الحرب

محمد خليفة صديق – السودان

مقدمة

يُعد التصوف أحد أبرز المكونات الدينية والاجتماعية في القارة الإفريقية، حيث تشير تقديرات مختلفة إلى أن عدد أتباع الطرق الصوفية في إفريقيا يقارب ١٠٠ مليون شخص. وقد سعت دول عديدة إلى الاستفادة من النفوذ الاجتماعي والديني للطرق الصوفية لبناء قواعد تأييد شعبية تدعم استقرار الأنظمة السياسية وتساندها في المحطات الانتخابية والتحالفات المختلفة.

وتزايد الاهتمام الرسمي بالتصوف مع تصاعد الحركات الإسلامية المتشددة، إذ يرى بعض الباحثين أن الخطاب الصوفي المعتدل يمكن أن يسهم في مواجهة التطرف والعنف الذي تمثله جماعات مثل داعش وبوكو حرام.

وفي السودان، انتشرت الطرق الصوفية في مختلف أنحاء البلاد، حتى بلغ عددها نحو أربعين طريقة رئيسة وفرعية، من أبرزها القادرية، والختمية، والسمانية، والشاذلية، والمكاشفية، والمجذوبية، والإدريسية، والرشيدية، والتيجانية. كما امتد تأثير بعضها إلى دول الجوار مثل مصر وتشاد ونيجيريا.

ويرى عدد من الباحثين أن بعض الطرق الصوفية شهدت خلال العقود الأخيرة تحولات جعلتها أكثر ارتباطًا بالهويات المحلية والإقليمية، بعد أن كانت تمثل أطرًا اجتماعية واسعة تتجاوز الانتماءات القبلية والجهوية.

يحاول هذا المقال أن يقف على حجم الحضور الصوفي في السودان، وخريطته الجغرافية والاجتماعية، وموقف الطرق الصوفية من الحرب الدائرة منذ أبريل ٢٠٢٣، وهل تتبنى

هذه الطرق موقفًا موحدًا أم تتباين مواقفها وفقًا لاختلاف مرجعياتها؟ بجانب قراءة لعلاقات التصوف السوداني بالتيارات الصوفية الإقليمية في الإمارات ومصر وتركيا والمغرب والجزائر وغيرها.

الجذور التاريخية للتصوف في السودان

تُعد الطريقة الشاذلية من أوائل الطرق التي انتشرت في السودان، تلتها الطريقة القادرية التي أصبحت، بتفرعاتها المختلفة، الأكثر انتشارًا في البلاد. وتشير بعض التقديرات إلى أن أتباع القادرية العركية وحدها يبلغون عدة ملايين من الأشخاص.

ويرى المستشرق ج. سبنسر ترمنغهام أن موجة جديدة من المد الصوفي شهدها السودان في مطلع القرن التاسع عشر، متأثرة بالتطورات التي شهدها العالم الإسلامي آنذاك، بما في ذلك التوسع الأوروبي، وظهور الحركة الوهابية، ودعوتها إلى العودة إلى أصول الدين، ونقد بعض الممارسات المرتبطة بتعظيم الأولياء.

ومن الشخصيات المؤثرة في هذا السياق السيد أحمد بن إدريس الفاسي (ت ١٨٣٦م)، الذي ترك تأثيرًا واسعًا في السودان رغم أنه لم يزره. فقد أسس الطريقة الإدريسية، وتتلمذ على يديه عدد من الشخصيات التي أسهمت في تأسيس أو إحياء طرق صوفية أخرى، مثل محمد المجذوب الصغير والشيخ إبراهيم الرشيد ومحمد عثمان الميرغني، مؤسس الطريقة الختمية، التي أصبحت إحدى أكبر الطرق الصوفية في شرق السودان وشماله.

كما دخلت الطريقة التيجانية إلى السودان عبر مصر، إلى جانب طرق أخرى أقل انتشارًا مثل البرهانية والدندراوية والعزمية، فضلًا عن امتدادات لبعض الطرق المصرية كالدسوقية والرفاعية والأحمدية والبيومية.

الصوفية السودانية وحرب ٢٠٢٣

وضعت الحرب التي اندلعت في السودان في أبريل ٢٠٢٣ الطرق الصوفية أمام اختبار بالغ الصعوبة. فمن جهة، حاول عدد من مشايخ التصوف القيام بأدوار وساطة ومبادرات محلية لوقف إطلاق النار واحتواء النزاع، وحققت بعض هذه الجهود نجاحات محدودة في مناطق معينة، أبرزها مدينة الفاشر. ومن جهة أخرى، برزت تباينات في مواقف بعض الطرق والقيادات الصوفية تجاه أطراف الصراع.

فبينما وصفت بعض القيادات الحرب بأنها «عبثية» ودعت إلى وقفها فورًا، اعتبر آخرون أنها معركة تخوضها الدولة ومؤسساتها العسكرية ضد تمرد مسلح. ومع ذلك، فإن القاسم المشترك بين أغلب المكونات الصوفية يتمثل في الدعوة إلى الحفاظ على وحدة السودان وتجنب الانزلاق نحو مزيد من الانقسام.

وتنبع أهمية الموقف الصوفي من الحرب من الثقل الاجتماعي والديني الذي تتمتع به الطرق الصوفية، وقدرتها على التأثير في قطاعات واسعة من المجتمع السوداني، فضلًا عن دورها التاريخي في الحياة السياسية.

أبرز المواقف الصوفية في الحرب

• مبادرة الطيب الجد

أطلق الزعيم الصوفي الراحل الشيخ الطيب الجد ود. بدر مبادرة «نداء أهل السودان»، التي ضمت عددًا كبيرًا من الأحزاب السياسية وزعماء القبائل والطرق الصوفية. وركزت المبادرة على دعم مؤسسات الدولة، وتحقيق الأمن والاستقرار، ومعالجة الأوضاع الاقتصادية، والتهيئة لانتخابات عامة في إطار عملية سياسية توافقية.

• لقاءات المجلس الأعلى للتصوف مع البرهان

شهدت الفترة الماضية عدة لقاءات بين رئيس مجلس السيادة الفريق أول عبد الفتاح البرهان وقيادات المجلس الأعلى للتصوف. وتركزت هذه اللقاءات على دور الطرق الصوفية في تعزيز التماسك المجتمعي والمساهمة في جهود الأمن والاستقرار.

• المسيرات والتظاهرات الداعمة للجيش

نظمت مجموعات صوفية وإسلامية في عدد من الولايات مسيرات وفعاليات جماهيرية دعمت القوات المسلحة السودانية خلال الحرب. وبرزت هذه الأنشطة بصورة خاصة في ولايات ذات حضور صوفي كثيف، مثل الولاية الشمالية والنيل الأزرق، حيث رفعت شعارات مؤيدة للجيش وداعية إلى إنهاء التمرد.

• دعوات صوفية خارجية للسلام ووقف نزيف الدم

امتد الاهتمام بالحرب السودانية إلى دوائر صوفية خارج البلاد، خاصة في الجزائر، حيث دعا عدد من القيادات التيجانية إلى تغليب الحكمة والحوار ووقف الاقتتال. كما

صدرت بيانات من مؤسسات صوفية أكدت أهمية الحفاظ على وحدة السودان ومعالجة الأزمة عبر الوسائل السلمية.

• تحركات الأحزاب ذات المرجعية الصوفية

دعت أحزاب سودانية ذات امتدادات صوفية، وعلى رأسها الحزب الاتحادي الديمقراطي الأصل، وحزب الأمة القومي إلى إطلاق حوار وطني شامل يجمع مختلف الأطراف السودانية. كما تبنت قوى سياسية أخرى مواقف مماثلة تدعو إلى إنهاء الحرب عبر التفاوض والتوافق الوطني.

• مليشيا الدعم السريع ودعم بعض الطرق الصوفية

شهدت فترة سيطرة مليشيا قوات الدعم السريع على مناطق في العاصمة وما حولها دعم وتأييد من بعض الطرق الصوفية ذات العلاقة بالإمارات، كما فعل الشيخ الأمين عمر زعيم الطريقة القادرية، المكاشفية، بمنطقة ود البنا بأم درمان، الذي دعم من قوات التمرد أيضا وقتها، ولكن عقب دخول الجيش لأم درمان وإعادة السيطرة عليها انحاز للجيش وأنكر أنه كان داعما للمليشيا.

• التصوف السوداني والإمارات

الأمر يتجاوز الشأن الداخلي في السودان، ليتقاطع مع السياسات الدينية لبعض الأطراف الخارجية، على رأسها الإمارات التي تدعم شبكات التصوف السياسي، وتستخدمها لتنفيذ إستراتيجيتها باعتبارها الحاضن الأكبر للتيار الصوفي في المنطقة، حيث سعت لاستغلال بعض الطرق الصوفية السودانية، وهو ما أكده الباحث البريطاني البروفيسور أندرياس كريغ، المحاضر في الدراسات الأمنية بكلية كينغز بلندن في مقاله في ٢٢ يناير ٢٠٢٠، أن «الإمارات لا تختلف عن القوى الأخرى التي تستخدم الدين لخدمة سياساتها لكنها تتبنى نسخة أخرى من الإسلام السياسي وهي الصوفية». وقال: «الإمارات سارعت إلى حشد قدراتها المالية والعسكرية لتشكيل المستقبل الاجتماعي السياسي للمنطقة من ليبيا ومصر واليمن إلى السودان لتصبح القوة الأولى المعادية للتغيير والثورات، بل تدعم الأنظمة المعادية للمجتمع المدني، وتقف مع الحكم العسكري»، وأضاف:» «حكام الإمارات اختاروا الصوفية باعتبارها الفرع الأهدأ سياسيا في الإسلام والأقوى تبنيا لفضائله الأكثر جوهرية، وهو ما يروق للغرب، وقد استخدمت تلك الدولة الصوفية بمهارة، وقامت برعاية مراكز صوفية في ليبيا ومصر والإمارات والسودان».

ونشرت صحيفة «الاستقلال» في ديسمبر ٢٠١٩، تقريرا بعنوان «زار السودان مرارا.. كيف وظفت الإمارات "الجفري" سياسيا؟»، والحبيب علي الجفري هو مبعوث الإمارات الصوفي، إلى سائر الأقطار العربية، والذي يعمل على تحقيق هدفها وترسيخ دعمها للطرق الصوفية. وذكر التقرير أن «الجفري أجرى عدة زيارات إلى السودان، وعقد لقاءات مع مشايخ الطرق الصوفية، وأعقبها بعد ذلك عدة مؤتمرات»، وأضاف: أن «زيارة رجل الدين الصوفي الحبيب

علي الجفري المتكررة إلى السودان، أثارت تساؤلات كثيرة من المتابعين لتحركات الجفري».

والجهات الصوفية التي تدعمها الامارات وزارها الجفري من قبل هي: المجمع الصوفي العام برئاسة الشيخ محمد حسن الفاتح قريب الله، رئيس المجمع الصوفي وشيخ الطريقة السمانية الطيبية القريبية، والطريقة القادرية، المكاشفية، بزعامة الشيخ الأمين عمر الأمين بمنطقة ود البنا بأم درمان، والطريقة السمانية الخلوتية برئاسة الشيخ الياقوت بضاحية جبل أولياء جنوب الخرطوم، والطريقة الختمية وغيرها.

كما سعى الجفري لضم صوفية السودان للمشروع الصوفي العالمي، حيث رتب لهم المشاركة في مؤتمر غروزني بالشيشان الذي حضره لفيف من العلماء تم اختيارهم بطريقة انتقائية، وهم: محمد حسن الفاتح قريب الله، شيخ الطريقة السمانية ورئيس المجمع الصوفي العام، وصلاح الدين سر الختم، نائب رئيس المجمع الصوفي العام والقيادي بالطريقة الختمية، ومحمد توم الأمين، مسؤول المال بالمجمع الصوفي العام.

وما يجدر ذكره أن موقف الامارات تجاه الحرب في السودان كان مساندا لمليشيا الدعم السريع، بتقديم الدعم المادي والعسكري والمعنوي لها بكل الطرق المتاحة، فهل سيؤثر ذلك على علاقة هذه الطرق الصوفية بالإمارات مستقبلاً؟

خاتمة

يمثل التصوف في السودان أكثر من مجرد تيار ديني؛ فهو مؤسسة اجتماعية وثقافية ذات حضور راسخ في الحياة العامة. وعلى امتداد التاريخ الحديث، ظلت الطرق الصوفية فاعلًا مهمًا في المجالين الاجتماعي والسياسي، واستطاعت الحفاظ على نفوذها رغم التحولات الكبرى التي شهدتها البلاد.

وخلال الحرب الراهنة، برزت الطرق الصوفية بين داعم لمؤسسات الدولة، وداعٍ إلى الحوار والسلام، وساعٍ للوساطة بين الأطراف المتنازعة. ورغم اختلاف المواقف والتقديرات، فإن تأثيرها المجتمعي الكبير يجعلها مرشحة للعب دور مهم في أي عملية مستقبلية للمصالحة الوطنية وإعادة بناء الثقة بين السودانيين.

ووفق متابعين، وبالنظر إلى التاريخ السوداني فإن الطرق الصوفية لا تلعب دورا سياسيا بارزا ومؤثرا إلا حينما يطلب منهم ذلك ويوظفهم الحكام حسب إرادتهم، فيكونون مع من غلب، ولا يصطدمون برأس السلطة والجيش بشكل مباشر، مهما كلف الأمر.

ويبقى السؤال مفتوحًا حول ما إذا كانت الطرق الصوفية ستتمكن من تحويل رصيدها الجماهيري والروحي إلى قوة فاعلة تسهم في إنهاء الحرب وتعزيز السلام، أم أنها ستظل متأثرة بالاستقطابات والانقسامات التي فرضتها الأزمة السودانية الراهنة؟

مراجع

عوض النقر بابكر، الصوفية في السودان.. القوة الناعمة في معركة السلطة، الجزيرة نت، ٢٠٢٦/٥/٢٠، الرابط: https://acesse.one/Yvir٣w

نورا فايد، المؤثرات الصلبة.. كيف تتحرك «الصوفية» في الأزمة السودانية؟، القاهرة الإخبارية، ٢٥ أبريل ٢٠٢٣، الرابط: https://l١nq.com/gjl٣sby

عمرو رشدي، خريطة الطرق الصوفيَّة في أفريقيا، الأكاديمية الدولية للدراسات الصوفية، ٢٠٢٣/١١/٠٢، الرابط: https://shorturl.at/oUCES

الدراما التركية وترسيخ هيمنة دراويش الصوفية

ظهر الشيخ الصوفي في الدراما التركية، تاريخية كانت أو معاصرة، بوصفه شخصية محورية في مسار الأحداث، لا مجرد حضور ديني عابر. ففي كل مرة يجد البطل نفسه أمام أزمة وجودية أو صراع دموي أو حالة ضياع، يدخل الشيخ إلى الحكاية بوصفه المرشد القادر على إعادة التوازن إليه عبر الحكمة والتأويل والخطاب الروحي. ومع تعدّد أشكال هذه الشخصية بين شيخ طريقة تقليدي، وقائد جماعة روحية، ومرشد غامض يحمل مفاتيح الخلاص، بقيت وظيفتها الدرامية شبه ثابتة: إنقاذ البطل من السقوط الكامل، وفتح مسار بديل يعيد تعريف معنى الانتصار نفسه.

... في مسلسل "قيامة أرطغرل"، لا يظهر ابن عربي كواعظ تقليدي، بل كمرجع روحي يعود إليه البطل في لحظات التردد الحاسمة. كل مفترق مصيري من الخيانة إلى الحروب وإعادة تشكيل التحالفات يمر عبر حضوره، وكأن القرار السياسي لا يكتمل إلا بعد عبوره "بوابة التأويل الروحي"... وفي "المؤسس عثمان"، يتخذ حضور الشيخ "إده بالي" منحى أكثر وضوحا في بناء فكرة الدولة. لا يكتفي بدور الموجّه، بل يصبح جزءًا من تأسيس المشروع السياسي نفسه عبر تفسير الأحلام ومنح الفعل بعدا قدريا، فيتحول من مرشد فردي إلى "ضامن رمزي" لشرعية الدولة، حيث يُعاد تعريف الفتح بوصفه قدرا لا طموحا شخصيا.

أما في مسلسل "يونس إمرة: طريق العشق"، فيبلغ الحضور الصوفي ذروته، إذ يصبح الشيخ محور الحكاية لا هامشها. العلاقة بين يونس وشيخه تابدوك إمرة قائمة على تهذيب طويل وإعادة تشكيل الذات، بحيث لا يكون الشيخ مرشدا فقط، بل "صانعا للبطل" نفسه.

... مع انتقال الدراما التركية إلى الأعمال المعاصرة، لم يختفِ هذا النموذج، لكنه لم يعد يظهر دائما في صورة "الشيخ الصوفي" التقليدية. صار الحضور يتبدل بين الشكل الرمزي والوظيفة السردية، مع احتفاظه بدور أساسي: لحظة "إنقاذ" أو "إعادة توجيه"

للبطل عند حدود الانهيار النفسي أو الوجودي.

.. في أعمال مثل "طائر الرفراف" و"شراب التوت"، يتجلى هذا البعد الروحي بشكل غير مباشر داخل علاقات العائلة وصدام القيم، حيث يظهر كظل أخلاقي يرافق الشخصيات في لحظات المراجعة وإعادة التقييم، من دون شيخ حاضر... أما في "الحفرة" و"الداخل"، فتتخذ الرحلة منحى أكثر قسوة تتحرك الشخصيات فيه بين العنف والانكسار، وكأن الوصول إلى لحظة التحول يحتاج دائما إلى إشارة خلاص داخلية تعيد ترتيب المسار.

هذا التحول يبلغ وضوحا أكبر في "البراعم الحمراء"، حيث يتحول الشيخ إلى مركز داخل بنية اجتماعية ودينية مغلقة، لا يقتصر دوره على الإرشاد، بل يمتد إلى التأثير في الوعي وتوجيه الاختيارات، ما يفتح أسئلة حول الحدود بين الروحي والاجتماعي، وبين الإيمان والسلطة، والخلاص والهيمنة... حتى في الأعمال التي ابتعدت ظاهريا عن الدين والتصوف التقليدي، حافظت الدراما التركية على فكرة "المرشد" بصيغ نفسية وفلسفية حديثة. ويبرز مسلسل "في" (iF) كواحد من أهم الأمثلة على هذا التحول؛ إذ يستبدل شخصية الشيخ بخطاب نفسي وفلسفي يقوم على مواجهة الذات والتخلص من "الأنا"، وهي فكرة تقترب من جوهر التجربة الصوفية القائم على تهذيب النفس والتحرر من الرغبات والسيطرة.

في الأعمال المعروضة على منصة نتفليكس مثل "عطية" (eyitA) و"ذا بروتيكتور" (rotcetorP ehT)، يأخذ الحضور الروحي طابعا أكثر رمزية.

لا يظهر الشيخ الصوفي في هذه الأعمال بوصفه شخصية عادية داخل المشهد، بل كـ "حدث" مستقل. الإخراج غالبا ما يفصله عن باقي الشخصيات عبر إضاءة هادئة وموسيقى تأملية، ما ينقله من مستوى الحدث إلى مستوى المعنى.

خطابه يتسم بالاختزال والعبارات المكثفة عن الصبر والقدر والاختبار. لا يقدم إجابات جاهزة بقدر ما يضع "مفاتيح تأويل" تتيح للبطل إعادة قراءة تجربته، وكأن الشيخ يفتح نافذة أخرى على الواقع لا تغيّره مباشرة، بل تغيّر زاوية النظر إليه.

... لا يمكن فصل هذا الحضور عن الإرث الروحي المرتبط بالتصوف في تركيا، حيث تظل شخصيات مثل جلال الدين الرومي وشمس التبريزي حاضرة في الخلفية الرمزية لهذا التخييل الدرامي، باعتبارهما نموذجا لعلاقة معقّدة بين الحب والمعرفة والبحث عن الحقيقة.

وهكذا تتحول الدراما التركية إلى مساحة تستعيد هذا الإرث لا بوصفه ماضيا ثابتا، بل كقوة ثقافية حيّة يعاد إنتاجها باستمرار داخل السرد المعاصر، عبر شيخ صوفي صريح أحيانا، ومرشد نفسي أو رمزي أو حتى "صوت داخلي" أحيانا أخرلكن بوظيفة واحدة: حراسة الخلاص في حكايات الأبطال.

رحاب ضاهر، الجزيرة نت، ٢٠٢٦/٥/٢٣

عولمة شعر الرومي

رحل مؤخرًا الشاعر والأكاديمي الأمريكي كولمان باركس (٧٣٩١ - ٦٢٠٢)، الذي يصحّ أن تبدأ المعلومة الأولى في تعريفه من كونه المترجم الأبرز، بمعنى الكمّ وليس الكيف دائمًا، للعشرات من قصائد الشاعر والمتصوف الفارسي الإسلامي جلال الدين الرومي (٧٠٢١ - ٣٧٢١) إلى اللغة الإنكليزية، على نطاق الولايات المتحدة...

وهذا ما عكف باركس على تحقيقه، في مقام أوّل مُنحت خلاله الأولوية لـ «تكييف» أشعار الرومي بما يتلاءم مع ذائقة الشرائح الشابة من القرّاء أوّلاً؛ خلال حقبة «العصر الجديد» الروحانية التي سادت أوروبا والولايات المتحدة مطالع سبعينيات القرن المنصرم، ثانيًا؛ وبما يجعل قصيدة المتصوّف الفارسي المسلم أيقونة رومانسية للعشاق في عيد الحبّ، وعلى بطاقات المعايدة، أو حتى الوسائد، ثالثًا. الأمر الذي لم يردع باركس عن تجريد الرومي من البُعد الديني الروحاني/ الإسلامي تارة، أو الإفراط في تحويله إلى رمز شبه أبيقوري من الإسلام تارة أخرى؛ خاصة بعد عمليات ٩/١١ الإرهابية في الولايات المتحدة وشيوع نسخة متشددة من الأصولية الإسلاموية...

صبحي الحديدي، القدس العربي ٢٠٢٦/٤/٥

غناء صوفي مختلط

أحيا الفنان البريطاني سامي يوسف، بفضاء باب الماكينة التاريخي بفاس، عرضًا فنيًا سافر من خلاله بالجمهور في عوالم صوفية وأنغام كونية.

وقدم الفنان البريطاني خلال هذا العرض، المقام ضمن فعاليات الدورة الـ ٩٢ من مهرجان فاس للموسيقى العالمية العريقة نفحات صوفية، مقطوعات متميزة مستوحاة من مشارب موسيقية عالمية مختلفة.

ومن أبرز اللحظات القوية التي ميّزت الأمسية، تلك التي قدم فيها الفنان بشكل مشترك رفقة الفنانة نبيلة معان والمنشد إسماعيل بوجيا... بالإضافة إلى أوركسترا تضم عازفين قادمين من تركيا والمملكة المتحدة وفرنسا والصين والأردن وأذربيجان والمغرب، ما أضفى على العرض بعدا عالميا يعكس فلسفة المهرجان.

موقع ٢٤ ساعة ٢٠٢٦/٦/٧

الموسيقى الصوفية عابرة للثقافات

تمثل تجربة "الأوبرا الصوفية" التي يقدمها باسم درويش حالة موسيقية وثقافية تحظى باهتمام واسع في الأوساط الأوروبية والعربية، حيث يُنظر إليه كأحد أبرز الموسيقيين العرب الألمان الذين أسهموا في صياغة خطاب موسيقي عابر للثقافات. وقد حظيت أعماله بتقدير رسمي في ألمانيا، حيث مُنح تكريمًا رفيعًا تقديرًا لإسهاماته في المشهد الثقافي والموسيقي.

د. محمد الزكري، صحيفة البلاد البحرينية ٢٠٢٦/٥/٢٠

جهود متواصلة لدعم نشر ثقافة التصوف

نظَمت مكتبة الإسكندرية من خلال بيت السناري التابع لقطاع التواصل الثقافي، ندوة بعنوان: "التعامل مع الابتلاء والألم عند علماء الصوفية" للكاتبة ريم بسيوني، وذلك بمقر بيت السناري الأثري بحي السيدة زينب بالقاهرة.

تناولت الندوة رؤية علماء الصوفية لمفهوم الابتلاء والألم، وكيفية التعامل مع الصعوبات والتحديات الإنسانية... تأتي هذه الندوة ضمن سلسلة: «رحلة في الفكر الصوفي وأسرار اللغة» التي ينظمها بيت السناري للعام الخامس على التوالي.

موقع صحيفة اليوم السابع ٢٠٢٦/٥/١٢

التصوف الذي يُفرش له السجاد الأحمر

«بالقرب من جامعة بيركلي الأمريكية.. مؤسسة الكركري للدراسات الصوفية ودار نشرها (الكركري برس) تفتتحان مقرهما الجديد» الذي جُهّز ليوفر بيئة عمل متكاملة ومريحة للباحثين وفرق العمل؛ إذ يضم مساحات عمل جماعية وطاولات مجهزة، وثلاثة مكاتب خاصة، إلى جانب قاعة مخصصة للاجتماعات والمؤتمرات عن بعد وجلسات التخطيط الاستراتيجي، فضلاً عن شرفة مخصصة للاستراحة. ويتميز المكان بكونه في قلب منطقة خليج سان فرانسيسكو وله إطلالة متميزة على خليج سان فرانسيسكو، التي تُعدّ من أبرز الأقطاب والمراكز العالمية الحاضنة للبحث العلمي وتطوير المعرفة، بحضور عدد من الأساتذة والباحثين من جامعات أمريكية عريقة، شملت ستانفورد، وكاليفورنيا بيركلي، ويبل، وهارفارد، ونوتردام.

صفحة الطريقة الكركرية Tariqa Karkariya

٢٠٢٦/٦/٨

شيخ الطريقة العزمية يبعث برسائل هامة لشيوخ الصوفية بالعالم

وجه الدكتور علاء الدين ماضي أبو العزائم، شيخ الطريقة العزمية ورئيس الاتحاد العالمي للصوفية بمصر والعالم، رسائل هامة إلى شيوخ التصوف في مصر وخارجها، وقال إن على الصوفية أن يكونوا في طليعة مَن يدافع عن الإسلام أمام محاولات تشويه الدين من قبل التيارات السلفية، والأفكار العلمانية، وجماعة الإخوان المسلمين. وأضاف: الوحدة بين الصوفية واجبة الآن أكثر من أي وقت مضى.

الصوفية اليوم ٢٠٢٦/٥

صراع الإخوة على المشيخة بأي ثمن

في محاولة يائسة لتصدير أزمته الداخلية وتشكيل ضغط خارجي للحصول على زعامة الطريقة البوشيشية في المغرب من أخيه معاذ، لم يتردد منير القادري في اللجوء إلى أحضان منابر وجرائد متقلبة المبادئ والحقائق، ليصدق فيها القول المأثور في كواليس الصحافة الصفراء، "لقد تغلب الميمي (المال) على المهنية".

وقد بلغت الرعونة حد التوجيه المباشر للاتهامات والطعن في شخص أحمد التوفيق، وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية.

موقع آش نيوز ٢٠٢٦/٦/٧

الصوفية مضطهدة في كل ليبيا!

أكدت منظمة "رصد الجرائم في ليبيا" اعتقال شيخ الزاوية العروسية الصوفية "جمعة فرج الفيتوري" (٩٦ عامًا)، بعد اقتحام منزله في منطقة سي خليفة شرق بنغازي من قبل مسلحين تابعين لميلشيات حفتر قبل اقتياده إلى جهة مجهولة.

وأوضحت المنظمة في بيان لها أن اعتقال الشيخ جمعة جاء بعد ثمانية أشهر من الاعتقال التعسفي لابنه "محمد جمعة الفيتوري" في نوفمبر ٥٢٠٢، والذي ما يزال مختفيًا قسريًا كذلك.

وحمّلت المنظمة مليشيات حفتر والحكومة الموازية المسؤولية القانونية الكاملة عن الاعتقال التعسفي والإخفاء القسري للشيخ جمعة الفيتوري وابنه محمد... كما طالبت المنظمة السلطات في شرق ليبيا بوقف حملات الاعتقال والتحريض التي تستهدف أتباع الطرق الصوفية في ليبيا، وضمان احترام الحق في حرية ممارسة الشعائر الدينية دون تمييز أو انتقام.

موقع ليبيا أوبزرفر ٢٠٢٦/٦/٧

توالد طرق صوفية جديدة

(١)

الدكتور عبد الهادي القصبي، شيخ مشايخ الطرق الصوفية ورئيس المجلس الأعلى للطرق الصوفية، التقى الشيخ السيد أيمن حمدي الأكبري، شيخ الطريقة الأكبرية الحاتمية، وسلّمه قرار الاعتماد الرسمي للطريقة بمصر والعالم الإسلامي، لينضم اسمها إلى قائمة تضم ٠٨ طريقة صوفية معترفًا بها تحت مظلة المجلس الأعلى للطرق الصوفية بجمهورية مصر.

والطريقة الأكبرية الحاتمية يستند منهجها إلى تراث القطب الصوفي الكبير سيدي محيي الدين بن عربي، وتنتشر في مصر وعدة دول حول العالم الإسلامي، مع تركز ملحوظ لأتباعها في قارتي أوروبا وآسيا.

موقع الصوفية اليوم ٢٠٢٦/٢/١١

(٢)

إجازة مجلس التصوف الأعلى بالمملكة الأردنية الهاشمية لفضيلة الشيخ عون معين القدومي بافتتاح الطريقة العونية الجنابية الرفاعية بترخيص رسمي، قام بتأكيده والمباركة عليه رئيس المجلس الصوفي الأردني معالي الشيخ العين جمال الصرايرة.

موقع عمون ٢٠٢٦/٦/٤

(٣)

نشرت الجريدة الرسمية المصرية قرار المجلس الأعلى للطرق الصوفية ووزارة الأوقاف الموافقة على إشهار الطريقة المحمدية الزروقية الشاذلية وتعيين محمد عبد الصمد محمد مهنا شيخًا لها.

الشرق للأخبار ٢٠٢٦/٦/٧

صوفيون في ضيافة الكيان الصهيوني

هيثم الكسواني - الأردن

نشرت وسائل إعلامية في شهر شباط/ فبراير من العام الحالي ٢٠٢٦م أنباء عن زيارة علنية قام بها وفد من مشايخ صوفية من دول أفريقية مثل السنغال ومالي وساحل العاج وبنين والكاميرون إلى الكيان الصهيوني، والتقوا خلالها رئيس الكيان إسحاق هرتزوغ لتعزيز التعايش والسلام والحوار بين الأديان.

أثارت هذه الزيارة صدمة عدد كبير من المسلمين واستنكارهم، إذ كيف تقوم فئة تنتسب إلى الإسلام بزيارة إلى هذا الكيان الذي يرتكب المجازر بحق الفلسطينيين وغيرهم من المسلمين، ويمعن في إذلالهم والتنكيل بهم، ويستمر في احتلال أراضيهم، وتهجيرهم، وتدنيس مقدساتهم، وهدم مساجدهم، وغير ذلك من مختلف صنوف الإبادة الاضطهاد والأذى؟!

لكنّ شيئًا من الاستغراب قد يزول إذا علمنا أن هذه الزيارة ليست الوحيدة التي يقوم بها شيوخ طرق صوفية أو ممثلون عنها للكيان الصهيوني، فقد سبقتها زيارات عديدة ومن سنوات طويلة، مثل تلك التي قام بها وفد من أئمة الجاليات الإسلامية من عدة دول أوروبية، من بينها فرنسا وبلجيكا وهولندا وإيطاليا وبريطانيا، في شهر تموز/ يوليو من عام ٢٠٢٥م والتقوا خلالها رئيس الكيان في مقر إقامته بتل أبيب، وقد ذهل المسلمون عندما رأوا بعض هؤلاء الأئمة يرددون النشيد الصهيوني «هاتيكفاه» - الذي يعني الأمل - بأسلوب شبيه بإنشاد المدّاحين الصوفيين[1]. ومن الزيارات الصوفية البارزة والعلنية للكيان الصهيوني تلك التي قام بها عدد من صوفية السنغال، من أعضاء (جمعية أئمة وعلماء السنغال)، بينهم أمينها العام عمر دياني في شهر تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٣[2].

---

١ - موقع كواليس الريف، ٢٠٢٥/٧/٨م.

٢ - مجلة الفرقان الكويتية، مقال «لماذا زار وفد من صوفية السنغال الكيان الإسرائيلي؟» ١٦ ديسمبر، ٢٠١٤. ptth://:Yjbw١/ku.kniltrohs

ومن ضمن ما تضمنته رحلة الوفد الصوفي السنغالي القديمة زيارة متحف (ياد فاشيم) المقام في القدس المحتلة لتخليد ذكرى «ضحايا الهلوكوست».

وقد صرّح عمر دياني هذا عقب زيارة المتحف - بحسب ما جاء في صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية-: «لقد تعلمنا اليوم من أسوأ عمل في التاريخ، ألا وهو إبادة اليهود في أوروبا، هذا العمل الذي لا يمكن لنا أن نجد له تفسيراً ... نحن جميعًا بشر متساوون رغم اختلافنا في العرق والدين والجنس، وليس هناك أي مسوغ ديني يبيح قتل مَن هم مختلفون عنا وإبادتهم. لقد ساعدتنا هذه الجولة هنا في هذا المتحف لأن نفهم وبعمق حقيقة إسرائيل واليهود، وإننا نبارك العلاقات بين السنغال وإسرائيل»[٣].

وفي تفسيرٍ لهذه الزيارة الصوفية إلى الكيان الصهيوني والحزن على «مظلومية» اليهود، يقول مقال مجلة الفرقان:

«للتصوف المعاصر ولعلماء الصوفية المعاصرين وأتباعهم آراء عجيبة ينفردون بها ويغردون بها خارج الإطار القيمي الإسلامي العام، وإضافة لهذه الآراء فإن لهم أفعال شنيعة، ومنها- على سبيل المثال- التقرب من غير المسلمين، وموالاتهم في أحايين كثيرة، ولم يقف الأمر عند أولئك المسالمين للمسلمين، بل وللمحاربين من اليهود والنصارى، والأمر ليس قاصراً على صوفية بلد معين بل الأمر شائع في مختلف البلدان الإسلامية إلا القليل منهم. والزيارة التي قام بها عدد من المتصوفة السنغاليين إلى إسرائيل مؤخراً تعد دليلا صريحاً على هذا الأمر»[٤].

بالتأكيد؛ يمثل الرأي السابق جزءًا مهمًا لفهم علاقة الصوفية بالاحتلال أو بالجهات المعادية للمسلمين، لكن جوانب أخرى تفسّره بشكل أوضح وأعمق:

يرى الصوفية أن من الرضى بالقدر الاستسلام لكل ما يجري على الإنسان، بحيث لا يطلب خلاف ما يجري عليه، ولا يدفع شيئا من المكروه.

يمثل هذا الاحتفاء الصهيوني بالصوفية انعكاسًا لتوصيات مراكز الدراسات الغربية، ومنها مؤسسة راند ومركز نيكسون في الولايات المتحدة الأمريكية، بدعم الصوفية واحتضانها ورعاية أنشطتها وطقوسها باعتبارها جماعة معتدلة ومتسامحة ومنسجمة مع القيم الغربية في مواجهة الجماعات والتيارات الإسلامية الأخرى التي يعتبرها الغرب والولايات المتحدة متطرفة وأصولية وإرهابية.

إن ارتماء الصوفية في أحضان الاحتلال والاستعمار ليس وليد اللحظة، فيذكر الشيخ إحسان إلهي ظهير، رحمه الله، شيئا من ذلك الارتماء المتمثل بالخدمات «الجليلة» التي قدمتها الطريقة الصوفية التيجانية للاستعمار الفرنسي خلال احتلاله للشمال الأفريقي، يقول الشيخ ظهير: «قام التجانيون في الجزائر والمغرب بالدفاع عن الاستعمار الفرنسي، وتحريض المسلمين على الخنوع والخضوع أمامهم، وتسليم البلاد بأيديهم بدون قتال ولا جدال، ومنعهم عن المحاربة والوقوف أمامهم ... قال الشيخ سيدي محمد الكبير صاحب السجادة الكبرى «التجانية»، وهو «خليفة» الشيخ أحمد التجاني الأكبر مؤسس هذه الطريقة، وهذا «الخليفة» يسيطر على جميع أرواح «الأحباب» المريدين التجانيين في مشارق الأرض ومغاربها ... إنه من الواجب علينا إعانة حبيبة قلوبنا ماديًا وأدبيًا وسياسيًا، ولهذا فإني أقول لا على سبيل المنّ والافتخار، ولكن على سبيل الاحتساب والتشرف بالقيام بالواجب... ففي سنة ١٨٣٨ كان جدي سيدي محمد الصغير - رئيس التجانية يومئذ- أظهر شجاعة نادرة في مقاومة أكبر عدو لفرنسا، الأمير عبد القادر الجزائري، ومع أن هذه العدو -يعني الأمير عبد القادر- حاصر بلدتنا عين ماضي، وشدد عليها الخناق ثمانية أشهر، فإن هذا الحصار تم بتسليم فيه شرف لنا نحن المغلوبين، وليس فيه شرف لأعداء فرنسا الغالبين، وذلك أن جدي أبى وامتنع أن يرى وجهًا لأكبر عدو لفرنسا، فلم يقابل الأمير عبد القادر!

وفي سنة ١٦٨٤ كان عمي سيدي أحمد -صاحب السجادة التجانية يومئذ- مهّد السبيل لجنود الدوك دوماك، وسهل عليهم السير إلى مدينة بسكرة، وعاونهم على احتلالها...»[٥].

كما يشكل انفتاح الاحتلال الصهيوني على تجمعات صوفية منحرفة ودعمه لها في إطار سياسته في مد الجسور واحتضان الفرق والجماعات المخالفة لأهل السنة، ومنها القاديانية والبهائية والدروز.

---

٣ - المصدر السابق.

٤ - المصدر السابق.

٥ - دراسات في التصوف، الطبعة الأولى لدار الإمام المجدد، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٦م، ص ٢٩٠ – ٢٩٧.

مجلة شهرية علمية متخصصة
في بيان حقيقة التصوف

نرحب بتلقي تعليقاتكم
وآرائكم ومشاركاتكم
على إيميل المجلة

info@mdarek.net